مجلة الملحدين العرب

مجلة شهرية بجهود فردية تصدر في الثاني عشر من كل شهر

- دحض أسطورة الإعجاز والتميز المزعوم في اللغة العربية-جـ1
  راوند دلعو
- هل الله موجود
  سقراط بن رشد
- قدرة النهج العلمي على إنجاز أي شيء وكل شيء جـ2
  رامي رستم

نافذة على الله: مفهوم الإله بين العلم والدين

د. جواد بشارة

توبة صاحب المجلة في كلمة تحرير العدد

العدد الحادي عشر بعد المئة من مجلة الملحدين العرب أكتوبر / تشرين أول 2023

تهدف مجلّة الملحدين العرب إلى نشر وتوثيق أفكار الملحدين العرب المتنوعة وبحريّةٍ كاملة، وهي مجلّةٌ رقميةٌ غير ربحيَّة، مبنيةٌ بجهودٍ طوعيةٍ لا تتبع أيَّ توجهٍ سياسي. المعلومات والمواضيع المنشورة في المجلّة تمثل آراء كاتبيها فقط، وهي مسؤليّتهم من الناحية الأدبيّة ومن ناحية حقوق النشر وحفظ الملكيّة الفكريّة.

فريق التحرير
المشارك في هذا العدد

ليث رواندي
إيهاب محمد
Yonan Martotte
Abdu Alsafrani – تدقيق
Alia’a Damascéne – تحرير ومقابلات

John Silver – عضو فخري دائم
Johnny Adams – تحرير
Raghed Rustom – القسم الإبداعي والفني
غيث جابري – موارد ومقابلات

رئاسة التحرير
الغراب الحكيم   أسامة البني (الوراق)

كلمة تحرير المجلة

التحية والسلام على القراء الكرام في عهدٍ جديدٍ من مجلتنا ومجلتكم، مجلة الملحدين العرب.
فبعد توبة صاحب المجلة وعودته للدين الحق، وجب أن يكون هذا العدد مميزًا وخطوةً جديدةً في تاريخها الطويل، وذلك على الرغم من عدم وجود «صاحب» للمجلة من الأساس أو حتى توبة أي أحدٍ من القائمين عليها أو عودتهم إلى حظيرة دين الإسلام أو غيره.

وجب أن نوضح ماذا حدث ولماذا حدث، فهو مهمٌ ويعبر عن تجلياتٍ واضحةٍ ولذيذة، ساخرةٍ مثيرةٍ للشفقة ومؤلمة أيضًا، وتعطينا المزيد من المبررات والدوافع للاستمرار في نهجنا التنويري ضد الجهل والسذاجة والخوف والجبن.

بدايةً لمن لا يعرف، مجلة الملحدين العرب هي مشروعٌ منبثقٌ عن مجموعة منتدى شبكة الملحدين العرب على شبكة الفيسبوك العالمية. وتم تأسيس المجلة في عام 2012 بأول أعدادها على يد مجموعةٍ من الأصدقاء لم يكن بينهم زعيمٌ أو مولٌ، حيث أن المجلة هي مشروعٌ تطوعيٌ حرٌ منذ بدايته، ولم يتبنى أي مذهبٍ أو سياسةٍ أو عقيدةٍ منذ بدايته، حيث أننا ندرك كشبابٍ مثقفٍ أن أكثر ما نحتاج إليه هو الحياد الرصين الواعي، وليس منبرًا آخر من المنابر المتحيزة. وقد تغير العاملون بها على مر السنوات؛ مما يعني أنه لا يوجد مالكٌ أو صاحبٌ أو زعيمٌ حتى يتوب. ولكن ما هو مصدر هذه الشائعة التي تملأ مواقع التواصل الاجتماعي والتسجيلات، حتى صار يجترها الشيوخ والمدونين وقريبًا المشايخ على المنابر؟

في الفترة القريبة الماضية، تعرض موقع «قناة الملحدين بالعربي» الذي يحمل أعداد المجلة لعملية قرصنةٍ أعطت الشخص المقرصن الصلاحية لتغيير بعض المحتوى لفترةٍ محدودةٍ قبل أن نعاود إرجاع الموقع إلى إعداداته السابقة بكل سهولة، ولكن خلال فترة سيطرة المقرصن رفع صفحةً تحمل نصًا يدعي أن «مؤسس» و«مالك» المجلة أعلن توبته وعودته للدين بدون ذكر أي أسبابٍ أو تفاصيل.

وكان هذا كافيًا لتعم الأفراح والزغاريد ويخرج الرجال للشوارع محتفلين. هكذا كذبة على الرغم من كونها كذبةً واضحةً، بل وغبيةً بسبب ضعف صياغتها وافتقارها للمخيلة والتفاصيل، تلقفها المسلمون بكل سعادةٍ ودون تمحيصٍ ونشروها كانتشار النار في الهشيم.

ARAB ATHEIST BROADCASTING
قناة الملحدين بالعربي

كلمة تحرير المجلة

المحزن والمثير للسخرية بنفس الوقت هو انجراف أصحاب هذا الدين القائم على الكذب لتلقي أي خبرٍ والاحتفال به واجتراره في كل مكان. بداية من المقرصن الذي أطلق الكذبة مدركًا أن الحقيقة لا قيمة لها. إذ أنه وكثيرين مثله يؤمنون بأنك إذا استمررت بالكذب وتغطية وتعتيم الحقيقة فإن الكذبة ستتحول إلى حقيقة.

حتى وإن اضطر إلى الإرهاب والعنف والقتل..

يجب ألا تُكشَف كذبته ويجب أن تنتشر الكذبة لأقصى حد.. هذا هو الإسلام باختصار. من بداياته التي قامت على التنكيل بأصحاب المعتقدات الأخرى مرورًا إلى التزوير والخداع وقتل المخالف في الخلافات على السلطة وليس انتهاءً بالتاريخ الإسلامي المبني كاملًا على الأكاذيب المحمية والمقدسة. يجب أن تؤمن أنت وغيرك بهذه الأكاذيب حتى يكون دينه صحيحًا.. حتى يكون هناك معنى وقيمةٌ لوجوده.. حتى لو كان هذا المعنى كاذبًا.. فالحقيقة لا تهم.. والقاع يبدو مكانًا مريحًا جدًا لمن يمتهنون الاستمناء الفكري بصور انتصاراتٍ كاذبةٍ ليصلوا إلى نشوةٍ مفادها أن دين الإسلام هو الدين الحق وأن الله ناصرٌ دينه أمام الكفار والملحدين.

اليوم نقف لنقول لأصدقاء المجلة، وأعدائها، والباحثين عن فكرٍ مختلفٍ ومفاتيح لصناديق مقفلة؛ لكل من يرفض التلقين والإرهاب الفكري والتزوير، نقول لكل مدمنٍ على الاستمناء الفكري، وكل مقدِّسٍ وعابدٍ للأكاذيب اللذيذة:

(يريدون ليطفئوا نور الإلحاد بإرهابهم، والإلحاد متمٌّ نوره ولو كره المؤمنون).

الغراب الحكيم

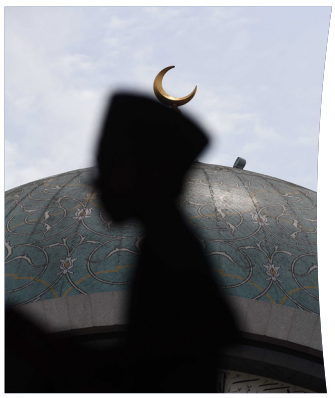

الفهرس

كلمة تحرير المجلة 2

الفهرس 4

التنوير في فهم أدوات العلمانية 6
د. عبد العزيز القناعي

الأدب المنحول الجزء 9 11
د. سميراميس العامري

بين أخلاقين 19
Moussa Eightyzz

نافذة على الله 26
أو مفهوم الإله بين العلم والدين
برتراند راسل ونخبةٌ من العلماء الآخرين
د. جواد بشارة

هل الله موجود 37
سقراط بن رشد

قدرة النهج العلمي على إنجاز أي شيء 44
وكل شيء (الجزء الثاني)
رامي رستم

دحض أسطورة الإعجاز والتميز المزعوم في اللغة 50
العربية: نقدٌ أدبي - الجزء الأول
رواند دلعو

حرب القرود 59
Hades Nostravinci

كاريكاتور 63

انضموا الينا الآن في ..

شبكة ومنتدى الملحدين العرب

على الفيسبوك

وكونوا جزءًا من مجتمع الملحدين العرب

على الإنترنت

لا حصانة ولا قدسية لأي رمز ديني

facebook.com/groups/arbathnetgroup

مجلة الملحدين العرب

black البط الاسود ducks

ARAB ATHEIST BROADCASTING قناة الملحدين بالعربي

AA-MENA

التنوير في فهم أدوات العلمانية

د.عبد العزيز القناعي

استمر المجال الفكري والسياسي والديني والاجتماعي، منذ عصر النهضة العربية الأولى (بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين)، إلى حاضرنا الآني، بالتعاطي مع الحداثة الغربية ومنتجاتها السياسية والاقتصادية والعلمية والفكرية، بطرقٍ مختلفةٍ ومتفاوتةٍ ومتباينة، وكان مرجعية هذا التذبذب، هو الخوف مما قامت به الحداثة الغربية من تجاوزاتٍ تاريخيةٍ ضخمةٍ لا يزال العقل العربي المسلم غير قادرٍ على نقاشها أو الانتهاء منها أو إحداث القطيعة المناسبة معها، خصوصًا فيما يتعلق بالتاريخ الإسلامي ومصطلحاته وقيمه ورموزه، كما فعل عصر التنوير الأوروبي مع التاريخ المسيحي، الذي دشّن النهضة الصناعية وما تبعها من إبداعٍ علميٍّ وعلومٍ نقديةٍ وإنسانياتٍ أخلاقيةٍ وسياساتٍ ديمقراطيةٍ شكلت هيكل وقوام الدول الغربية بشكلها الحديث المعاصر، بعد أن انتهى من تهذيب المسيحية ونقدها وتفكيكها ثم وضعها في شكلٍ وعلاقةٍ مجتمعيةٍ خاصة.

ولعل ما يتبادر إلى الذهن العربي، حين يتم استجلاب مفاهيم الحداثة وتداعياتها الفكرية والعقلية، هو ما يُنسب إليها من حسن الإدارة، ومتانة الاقتصاد، ودمقرطة الدول، والرفاه الاقتصادي، وهامشٍ ضخمٍ وكبيرٍ من التعاطي الإيجابي الحقوقي المتعلق بالحريات والاستقلالية والمرأة والتعليم والقوة العسكرية.

فكيف تقدمتْ مثل هذه الدول الغربية، التي لا تزال في المخيال العربي الإسلامي -جله وسواده الأعظم- دولًا منحلةً وكافرةً وبعيدةً عن الله والإسلام وشريعة النبي محمد؟

لا شك أنه سؤالٌ جوهريٌّ وعميقٌ وتاريخيٌّ حتى، فالذهنية العربية- ولا أستثني مقاربة الذهنية الغربية عندما كانت تعيش في العصور الوسطى البدائية- لا تزال تعتقد وتؤمن بأن التقدم والتطور هو نتاج الإيمان

والتقرب إلى الله، وتطبيق تعاليم الأديان بحذافيرها، وإلا فسوف تواجه الشعوب والدول انهياراتٍ شتّى وتراجعاتٍ جمةً وانحلالاتٍ فاسقةً إذا ما رفضت تطبيق الدين وتفويض السلطة الكهنوتية بكل ما له علاقةٌ وشأنٌ بالحياة.

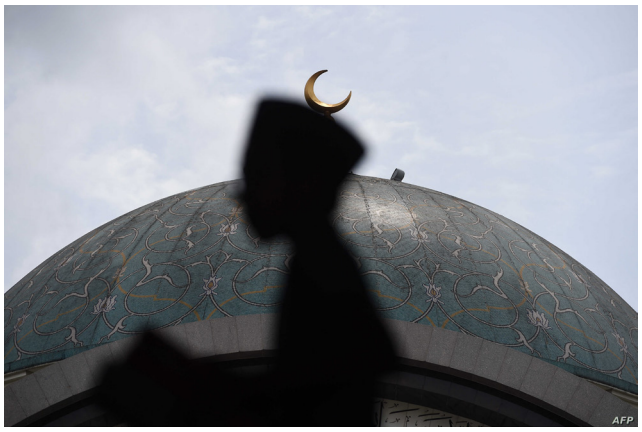

لا شك بأنها إشكاليةٌ ومعضلة، تعيش وتنمو داخل الذهنية العربية وحتى الإسلامية، فيما قلناه، حول كيفية تقدّم مثل هذه المجتمعات الغربية، وكيف استطاعت الهيمنة على العالم بصناعاتها وفنونها وقوّتها، هل الدين المسيحي هو الحل؟ أم تمسّكهم بيسوع واتّباع تعاليمه حرفيًا دون نقصان؟ أم باتّباع الديانة اليهودية وحفظ ونشر الوصايا العشر وتعاليم داود وسليمان؟ ولكن كيف يمكن لهم التفوق، والحديث للذهنية العربية، كيف يتقدمون ببراعةٍ ونحن نملك أفضل دين، ونبينا محمدٌ خاتم الأنبياء والمرسلين، وشريعتنا الإسلامية كاملةً بلا نقصان، وصالحةً لكل زمان ومكان، كما قال لنا رجال الدين والفقهاء، وكما ردّدوا علينا في الإعلام والمساجد والحسينيات والمناهج التعليمية؟

هنا، لم يحاول العقل العربي المسلم، الولوج إلى عمق الإشكالية بقدر ما عكسها، جهلًا وتغييبًا، بزيادة الجرعات الدينية وببناء الكثير من دور العبادة وبنشر تعاليم الإسلام أكثر وأكثر حتى ضاقت الأرض بما رحبت من تزايد أعداد الدعاة والفقهاء والمساجد وكليات الشريعة والفقه، ونقصان عدد المدارس والجامعات والمكتبات ومراكز العلم والفلسفة والفنون، في مفارقةٍ ساخرةٍ وعماءٍ نفسيٍّ قبل أن يكون عقليًا في رؤية النتائج بدون البحث ومواجهة الأسباب.

هنا أيضًا، لم يتخلص التاريخ الإسلامي من الهيمنة اللاهوتية، كما تخلص التاريخ الغربي من هذه الهيمنة، بعد أن أسّس الإيطالي جّان باتيستا ڤيكو Giambattista Vico، أول كتابةٍ للتاريخ بشكلٍ علمي، بعيدًا عن السيطرة اللاهوتية على مناهج التاريخ.

بينما، وعلى الضفة الأخرى، في عالم الغرب بمعظمه، وفي الشرق الأدنى أيضًا ببعض دوله ومجتمعاته، كاليابان وكوريا الجنوبية وسنغافورة، نرى تلك الدول بأديانها المختلفة وعرقياتها المتعددة وهوياتها المتنافرة والمتناثرة، قد استطاعت توحيد الأمة، وتحقيق السلم والأمان المجتمعي، وتحقيق الرفاه الاقتصادي والديمقراطية الليبرالية والضمان الاجتماعي والعدالة والمساواة وتخفيض نسب الفقر والبطالة.

فمن أين جاء كل هذا؟ ومتى تحقق؟ وما العمليات والخطوات والإجراءات والآليات السياسية والاجتماعية التي أدّت إلى الوصول لمثل هذه النتائج المبهرة؟ بالتأكيد، ولا يخفى على كل مطّلعٍ وقارئٍ وباحث، أن النقطة الفاصلة، والحدث الجلل، والعبور من نفق الظلام والعبودية وسلطان الكهنوت، كانت وبدأت، حينما انتصر الإنسان لذاته، وعقله، وإرادته، وحريته. حين وقف بكل قوةٍ ومواجهةٍ وصمودٍ أمام الاستبداد السياسي والوصاية والهيمنة والإقطاعية والعبودية.

حين رفض بشكلٍ قاطعٍ انتظار الجنة الموعودة، وبدأ في خلق وصناعة جنة الإنسان على الأرض. حين بدأ يفكر، وينتقد، ويشك، ويتساءل، ويحلم، ويكتب، ويقرأ، ويغني، ويرقص، ويخرج من قصوره المعرفي، حين صرخ ورمى أول حجرٍ في المياه الراكدة، وحين طالب بشنق آخر ملكٍ بأمعاء آخر رجل دين.

لم يكن التحول من الجهل والاستبداد، إلى التقدم والأخلاق، من البدائية الفكرية، إلى العقل النقدي، عملًا سحريًا ولا بفعل عصا موسى. بل هو تحولٌ بدأ مع تفكير الإنسان حوله، مع مشاهدته ومعاصرته لكل التحولات والتراكمات البشرية في مسار القمع والوصاية وتهديد الإنسان، مع مواجهته للطبيعة وفهمها ومحاولة هزيمتها أو التكيف معها، مع إسقاط فكرة القداسة عن الأديان ونقدها ومحاولة مواءمتها مع الواقع.

بدأ حين توصّل فلاسفة الأنوار، روسو وهوبز وجون لوك، إلى فكرة ومفهوم التعاقد الاجتماعي، الذي لعب دورًا حاسمًا في التحول من النظرة الدينية حول المجتمع والسلطة، إلى فعل تعاقدٍ بين الناس، يقوم على العقل والديمقراطية والاختلاف، باعتبار إرادة الأفراد في المجتمع هي أساس وأصل الإرادة الجماعية نفسها. بدأ مع الفكر الحداثي الذي أعاد ترتيب الواقع الوجودي في الحياة، باعتبار الإنسان، كائنًا مركزيًا وفاعلًا أساسيًا في التاريخ والمعرفة والإبداع.

بدأ مع عمليات التنوير وفصل الدين عن الدولة. بدأ مع ميشيل فوكو حين وضع أسس المنهج الأركيولوجي للحفر في النصوص القديمة. ذلك الحدث، والفصل، والتنوير، والقطع الفكري والعلمي والتاريخي مع كل ما هو قديمٌ ووصائيٌ ومقدس، خلق العلمانية التي استطاعت، وفق أدواتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، أن تجعل الدول مجتمعاتٍ مدنيةً وشعوبًا متعايشةً. أن تجعل من الأديان ومن كل المعتقدات مجرد خياراتٍ شخصيةٍ وعلاقاتٍ خاصةٍ لا شأن لها بالدولة وقوانينها وسياساتها.

العلمانية التي يقول عن نشأتها وأصولها السيد ممدوح الشيخ في ملف اللائكية والإسلام: «تعود الجذور التاريخية للكلمة إلى الفلسفة اليونانية القديمة، لفلاسفةٍ يونانيين، أمثال أبيقور. غير أنها خرجت بمفهومها الحديث خلال عصر التنوير على يد عددٍ من المفكرين أمثال فولتير، هوبز، لوك، سبينوزا... إلخ. ولا تُعتبر اللائكية شيئًا جامدًا، بل هي قابلةٌ للتكييف حسب ظروف الدول التي تتبناها. كما لا تُعتبر العلمانية ذاتها ضد الدين، بل تقف على الحياد منه».

كانت العلمانية، هي المجال الفكري والسياسي والاجتماعي الذي سمح للدول المتقدمة وللشعوب نفسها، أن تفهم الحياة، وأن يفهم كل فردٍ دوره وحدوده وإمكانياته. لكن وبنفس الوقت نقول، بأن العلمانية ليست الحل السحري ولا النهاية التاريخية المحتمة، كما قال فوكوياما في كتابه «نهاية التاريخ

والإنسان الأخير»، حيث أشار بأن التاريخ ليس فتراتٍ وأزمنةً ومراحل، بقدر ما هو وصولٌ للنموذج الأمثل والقائد، والذي باعتقاده قد اكتمل تاريخيًا مع الديمقراطية الليبرالية. بل العلمانية، حين تستوطن مجتمعًا ما، وحين تطالب بها شعوبٌ ما، تحتاج إلى وعيٍّ بها، وممارسةٍ معها، واندماجٍ فكريٍّ ومؤسسيٍّ وتعليميٍّ وحتى مستقبلي.

فالعلمانية ديمقراطيةٌ وحرياتٌ وحقوق إنسانٍ ومساواةٌ ومواطنةٌ وقبولٌ للآخر المختلف، وكلها أدواتٌ قانونيةٌ دستوريةٌ يجب أن تكون موجودةً في قوانين ودستور الدولة. يجب أن تكون ثقافةً وسلوكًا وذهنيةً جمعيةً، يجب أن تكون وتصبح، مناهج تعليمٍ وإعلام دولةٍ وعمقًا فكريًا وفلسفيًا لدى الأجيال.

إن تراجع وتخلف مجتمعاتنا العربية، لا علاقة له اليوم بالديمقراطية أو الليبرالية أو العلمانية. لا علاقة له بالحداثة والمساواة والمواطنة والحريات، فهذه نتائج وعيٍّ وتغييرٍ وثورةٍ وعقلانية. بينما مجتمعاتنا وغالبية شعوبنا، لا تزال ترزح تحت نير الوصاية والتقاليد والقمع والظلم. تراجع وتخلّف مجتمعاتنا، لا يحتاج إلى العلمانية أولًا، بل يحتاج إلى التنوير كخطوةٍ أساسيةٍ وفكريةٍ وحتى دينيةٍ في التخلص من قيود القداسة والوصاية والأبوية.

فالعلمانية في المجتمعات الغربية لم تستوطن بسهولة، ولم تستوعبها الشعوب الغربية بقبولٍ وانسجام، بل جاءت بعد محاولات كرٍّ وفرٍّ ورفضٍ ونقد. بينما العقل العربي المسلم، إذا ما أراد التقدم والنهوض، عليه أن يثور أولًا، كما ثارت العقول من قبله، أن يرفض ويحتج ويطالب ويفكر. بعدها، وحينها، ومع الوعي التاريخي المناسب، ستكون العلمانية في الدساتير العربية، ليس حلمًا ولا أملًا ضعيفًا، بل ستكون مجرد تحصيل حاصلٍ لشعوبٍ واعيةٍ هزمتْ كل ما يعوقها وانتصرت لنفسها.

facebook.com/groups/RadicalAtheists

ملحدون راديكاليون بلا حدود

حواريّة . لادينيّة . إنسانيّة

FAQ

#RA_FAQ
الأسئلة المتكرّرة

#RA_RT
الطاولة المستديرة

#RA_ QUOTES
أفضل حكمة

#RA_BOM
كتاب الشهر

#RA_ DEBATES

مناظرة

الأدب المنحول
الجزء الـ 9

د. سميراميس العامري

3) الأناجيل المنحولة كيف كُتِبت ولماذا رفضتها الكنيسة؟

1 – **الأناجيل غير القانونية: أبوكريفا:** معناها وكيف استُخدمت؟

على عكس كلمة «قانونية»، تقف كلمة ἀπόκρυφοα- apocrypha – أبوكريفا التي كانت تعني في أصلها «خفيٌّ - غامضٌ - مبهمٌ – عويص». وكان اليونانيون القدماء هم الذين استخدموها حيث كان عندهم نوعان من المعرفة:

د. سميراميس العامري

الأدب المنحول
الجزء الـ 9

النوع الأول يشمل عقائد وطقوسًا عامةً لكل الناس، أما النوع الثاني فكان يشمل عقائد وطقوسًا غامضةً عويصةً لا يفهمها إلا فئةٌ متميِّزةٌ خاصةٌ، ولذلك بقيت «مخفيةً» عن العامة. ثم أُطلِقت كلمة «أبوكريفا» في العصور المسيحية على بعض الكتابات غير القانونية في العهد القديم، وكذلك في العهد الجديد، وبخاصةٍ الكتابات التي تشتمل على «رؤًى» تتعلق بالمستقبل والانتصار النهائي لملكوت الله ... إلخ، إذ أنها أمورٌ تسمو عن فكر البشر وحكمة «المطّلِعين».

ثم أُطلِقت الكلمة في المسيحية بصفةٍ خاصةٍ على بعض الكتب اليهودية والمسيحية التي كُتِبت في القرنين السابقين للميلاد والقرن الأول الميلادي وهي من الكتب التي كُتِبت فيما بين العهدين وسُمِّيت بـ «الكتابات المزيفة» لأن كُتَّابها نسبوها إلى الآباء البطاركة الذين لا يمكن أن يكونوا قد كتبوها حقيقةً، مثل أخنوخ، وإبراهيم، وموسى ... إلخ، وذلك لإضفاء أهميةٍ وأصالةٍ عليها. أي أن كلمة أبوكريفا أُطلِقت على بعض الكتابات الدينية التي كانت تحمل معنى أنها قاصرةٌ على دائرةٍ معيّنةٍ ضيقةٍ ولا يمكن لمن هم خارج هذه الدائرة أن يفهموها، فالكلمة تعني «خفيٌّ - غامضٌ - مبهمٌ – عويص».

وفي بداية المسيحية، استُخدِم هذا التعبير apocrypha -ἀπόκρυφοσ– بعد ظهور الغنوصية وإنتاجها لعددٍ كبيرٍ من الكتب اعتُبِرت مزيفةً في مجمع نيقية الأول[1] (325م)، سواءٌ التي نسبتها للرسل أو التي نسبتها لكُتَّابها الأصليين من هؤلاء الغنوصيين والتي كانت تُرَى أنها مكتوبةٌ ومقصورةٌ على فئةٍ معينةٍ من الناس ووصفتها بالسرية. وقد تأثر

1- مجمع نيقية الأول أو المجمع المسكوني الأول هو أحد المجامع المسكونية السبعة وفقًا للكنيستين الرومانيّة والبيزنطيّة وأحد المجامع المسكونية الأربعة. وسُمِّي مجمع نيقية بهذا الاسم نسبةً إلى مدينة نيقية التي عُقد فيها، وهي العاصمة الثانية لولاية بيثينية وتقع في الشمال الغربي لآسيا الصغرى. وحضر افتتاح المجمع الإمبراطور قسطنطين الأول وبدأ مجمع نيقية جلساته في 20 مايو 325م، ولا يُعرَف بالضبط عدد من حضره من الأساقفة، ولكن يُعتقَد أن العدد تراوح بين 250 إلى 318 أسقفًا معظمهم من الشرق، ويعود عدد الأساقفة الـ 318 إلى ما بعد سنة 360. وعُقِد المجمع بناءً على تعليماتٍ من الإمبراطور قسطنطين الأول لدراسة الخلافات في كنيسة الإسكندرية بين آريوس وأتباعه من جهةٍ وبين ألكسندروس الأول وأتباعه من جهةٍ أخرى حول طبيعة يسوع هل هي نفس طبيعة الرب أم طبيعة البشر. وأنكر آريوس أزلية يسوع فاعتقد بأنه كان هناك وقتٌ لم يكن يسوع موجودًا فيه، واعتبره رفيعًا بين مخلوقات الله ومِنْ صُنْعِهِ، كما اعتبر أن الروح القدس من صُنْعِ الله أيضًا. بينما أكد ألكسندروس الأول (بابا الإسكندرية) على أن طبيعة المسيح هي من نفس طبيعة الله، وتغلب رأي ألكسندروس الأول بالاقتراع ورفض آريوس واثنان من القساوسة بإصرارٍ التوقيع، وحُرِقت كتب آريوس وسُمِّي مذهبه ببدعة آريوس ووُصِم أتباعه إلى اليوم بلقب أعداء المسيحية. وتم أيضًا في المجمع الاتفاق على الاحتفال بعيد القيامة وعلى موعده، على أن يقوم بطريرك الإسكندرية بالإعلان عنه سنويًا.

ونتج عن مجمع نيقية أول أشكال قانون الإيمان المسيحي، وبدأت علاقة الكنيسة بالسلطة بالتشكل بعد أن كانت كيانًا دينيًا خالصًا. وبعد ثلاثة قرونٍ من تطور الفكر المسيحي واختلاطه بالأفكار والأديان المحيطة بحُرّية في كل الاتجاهات، أصبحت الكنيسة الموحدة هي المرجع والسلطة في تحديد مَن يدخل في نطاق الإيمان مِن عدمه. ومن كتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ورد الآتي:«ثم قام قيصرٌ آخر فكانت النصارى في زمنه يصلّون في المطامير والبيوت فزعًا من الروم ولم يظهر بطرك الإسكندرية خوفًا من أن يُقتَل فقام بارون بطركًا فلم يزل يداري الروم حتى بنى بالإسكندرية كنيسةً، ثم قام قياصرةٌ أُخَرٌ منهم اثنان تملّكا على الروم إحدى وعشرين سنةً فأثاروا على النصارى بلاءً عظيمًا وعذابًا أليمًا وشدةً تجل عن الوصف من القتل والعذاب واستباحة الحريم والأموال وقتلوا ألوفًا مؤلَّفةً من النصارى وعذبوا مارجرجس أصناف العذاب ثم قتلوه. وفي زمنهما ضُرِبت عنق بطرس بطرك الإسكندرية وكان له تلميذان وكان في زمنه آريوس يقول إن الآب وحده الله الفرد الصمد والابن مخلوقٌ مصنوعٌ وقد كان الآب إذ لم يكن الابن، فقال بطرس لتلميذيه إن المسيح لعن آريوس فاحذرا أن تقبلا قوله فإني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب فقلتُ يا سيدي من شقّ ثوبك فقال لي آريوس فاحذروا أن تقبلوه أو يدخل معكم الكنيسة. وبعد قتل بطرس بخمس سنين صُيِّر أحد تلميذيه بطركًا على الإسكندرية فأقام ستة أشهرٍ ومات، ولما جرى على آريوس ما جرى، أظهر أنه قد رجع عن مقالته فقبله هذا البطريرك وأدخله الكنيسة».

Ibland har dock “Apostelmötet”, Apostlagärningarna kap. 15, setts som det första kyrkomötet.

^ En övervägande majoritet bestående av alla utom två, röstade för denna tolkning. [Schaff’s History of the Christian Church, Volume III, Nicene and Post-Nicene .

Christianity, § 120. The Council of Nicaea, 325: “Only two Egyptian bishops, Theonas and Secundus, persistently refused to sign, and were banished with Arius to Illyria. The books of Arius were burned and his followers branded as enemies of Christianity.”]

الأدب المنحول
الجزء الـ 9

د. سميراميس العامري

هؤلاء الغنوصيون بالصوفية البابلية والفارسية وكتاباتها. ويذكر أكليمندس الإسكندري (150 – 215م) أسماء بعض الكتب السرية للديانة الزرادشتية، ولعله أول من أطلق لفظ «أبوكريفا» على هذه الكتابات الزرادشتية، أي أنه عندما أُطلِقت كلمة «أبوكريفا» على الكتابات الدينية الغنوصية، كانت تحمل معنى أنها قاصرةٌ على دائرةٍ معينةٍ ضيقةٍ، لا يمكن لمن هم خارج هذه الدائرة أن يفهموها.

كما يُطلَق اسم «أبوكريفا» على مجموعةٍ من الكتابات الدينية التي اشتملت عليها الترجمتان السبعينية والفولجاتا (مع اختلافاتٍ لا تُذكر) زيادةً على ما في الأسفار القانونية عند اليهود وعند البروتستانت.
ولكن ليس هذا هو المعنى الأصلي أو الصحيح. للكلمة - كما سنرى فيما بعد - وإنْ كان هذا هو مفهومها الجاري الآن.
وكان جيروم (توفي حوالي 420م) وكيرلس الأورشليمي (توفي حوالي 386م) هما أول من أطلق لفظ «أبوكريفا» على ما جاء في الترجمة السبعينية زيادةً عما في الأسفار العبرية القانونية.

ويطلق الباحثون والدراسون المعاصرون على مجموعة هذه الكتابات اسم «أبوكريفا العهد القديم»، لأن بعض هذه الكتب على الأقل كُتِب باللغة العبرية القديمة - لغة العهد القديم - كما أنها جميعها أكثر انتماءً إلى العهد القديم منها للعهد الجديد، ولكن توجد أيضًا أسفار أبوكريفا للعهد الجديد من أناجيل ورسائل... إلخ.

وفي بحثنا هذا نستخدم كلمة «أبوكريفا» كما استخدمها آباء الكنيسة الشرقية وكما نستخدمها الآن على ما يُسمّى بـ «الكتابات المزيفة» والتي سُمِّيت هكذا لأنها تُنسَب إلى كُتّابٍ لا يمكن أن يكونوا قد كتبوها حقيقةً من الرسل وتلاميذ المسيح.

كما أن المسيحية ليس فيها شيءٌ من هذا القبيل، فلا يوجد فيها شيءٌ للعامة وشيءٌ آخر للخاصة المتميزة، فالإنجيل - منذ أيامه الأولى - يُكرَّز به للفقراء والجهلاء والأغنياء والحكماء، كما أن الكتب المقدسة كانت تُقرَأ في الكنائس على مسامع الجميع. أما هذه الكتب الأبوكريفية فقد رفضتها الكنيسة لسببين:

1. أنه لا يمكن أن يكون قد أُوحِي لكُتّابٍ ممن عاشوا بعد عهد الرسل بحوالي 100 سنة، فقد كُتِب أقدمها حوالي سنة 150م، وكُتِبت جميعها فيما بين 150 و450م.

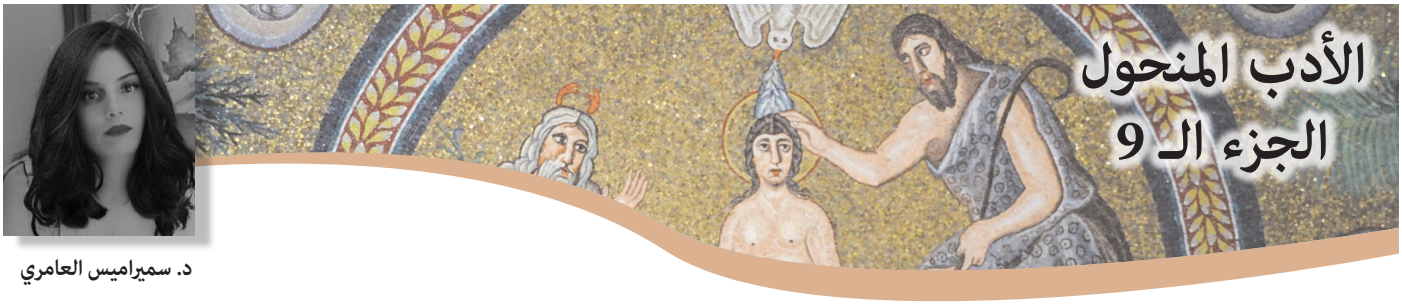

د. سميراميس العامري

2. لا يمكن أن يُعتبَر أي كتابٍ قانونيًا إلا إذا كان قد تم تسليمه من الرسل أنفسهم، وكانت قد قبِلته كل الكنائس من الرسل وليس من غيرهم. وهذه الكتب الأبوكريفية كُتِبت، في معظمها، بعد انتقال الرسل من العالم بحوالي مائة سنة، ومن هنا أُطلِق عليها «أبوكريفا»، أي المزيفة لأنها نبعت أساسًا من قلب المذاهب الهرطوقية مثل الغنوصيين، وكان هؤلاء متمسكين بها ومعترفين أنها خرجت من دوائرهم، لذا لم تحظَ قطُّ بالقبول لدى كل الكنائس، في الشرق أو الغرب. فيقول أوريجانوس (توفي 253م) إنه يجب أن نفرّق بين الكتب المسماة «أبوكريفا»، فالبعض منها يجب رفضه كليّةً لأنه يحوي تعاليم تناقض تعليم الكتاب، أي أنه منذ نهاية القرن الثاني، أصبحت كلمة «أبوكريفا» تُطلَق على ما هو زائفٌ ومكتوبٌ خارج دائرة الرسل والكنيسة، بل وكُتِب في دوائر الهراطقة، وكان معروفًا لهم أن هذه الكتب قد نُسِبت لأناسٍ لم يكتبوها.

ويعارض إيريناؤس (توفي 202م) أكليمندس الإسكندري فيرفض أن يكون للكتابات السرية أي اعتبار، ويضع كلمة أبوكريفا (ἀπόκρυφοσ- apocrypha) بجوار كلمة (Nothos - Νόθος) «مزيفة». وكان يعتبر، وكذلك جيروم فيما بعد، أن كلمتَي «قانونية» و «أبوكريفا» على طرفَي نقيض. ويستخدم العلّامة ترتليانوس كلمة (ἀπόκρυφοσ- apocrypha) وكلمة (falsa - مزيف) كمترادفين. وكانت كلمة أبوكريفا تعني عنده الأسفار غير القانونية، المزيفة.

2 – عوامل ظهور هذه الكتب الأبوكريفية ومصدرها؟

هناك عدة عوامل أدت إلى كتابة وظهور هذه الكتب الأبوكريفية من أهمها محاولة العامة والبسطاء من المؤمنين إشباع رغبتهم ولهفتهم لمعرفة تفاصيل الأحداث التي ذُكِرت في أسفار العهد الجديد بصورةٍ موجزة؛ مثل تفاصيل أحداث ميلاد المسيح ورحلة الهرب إلى مصر وطفولته والتأكيد على لاهوته من خلال معجزاتٍ تبين مقدرته على كل شيء.

بل ومحاولة البعض الدفاع عن عقائد مسيحيةٍ هاجمها اليهود مثل بتولية مريم وقداستها وحبَلِها بالمسيح دون علاقةٍ جنسية، ودوام بتوليتها بعد ميلادها للمسيح، واتهام اليهود للمسيح بأنه ابن زنا، بل ومحاولة معرفة تاريخ مريم نفسها وكيفية ولادتها وتربيتها، كالمتلئة نعمةً قبل بشارة جبرائيل لها وحبلها بالمسيح، ومثل محاولة شرح موقف بيلاطس من المسيح، وإيجاد معجزاتٍ للمسيح وقت محاكمته لتبرر كونه ابن الله، ومحاولة شرح موقف كلٍّ من نيقوديموس ويوسف الرامي بعد الصلب والقيامة، خاصةً وأنهما كانا من تلاميذ المسيح الخفيين، وموقف اليهود مما فعلاه أثناء دفن المسيح، فنيقوديموس وضع على جسد المسيح عودًا ومرًّا ويوسف الرامي دفنه في قبره الجديد الذي لم يكن قد وُضِع فيه أحدٌ بعد، ومحاولة إيجاد تبريرٍ لكل ذلك. وكذلك أيضًا موقف اليهود من قيامة المسيح بصورةٍ أكثر تفصيلًا مما جاء في الإنجيل القانوني بأوجهه الأربعة.

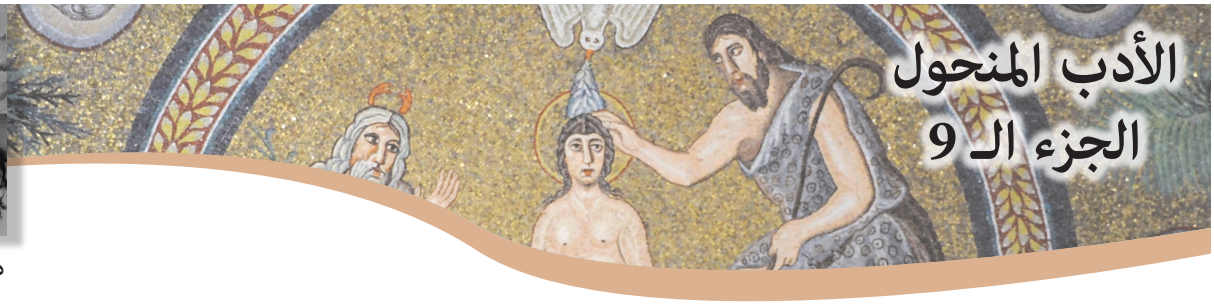

الأدب المنحول
الجزء الـ 9

د. سميراميس العامري

وكذلك ظهور الكتابات الدفاعية المسيحية التي دافعت عن العقائد المسيحية ضد اليهود والوثنيين والهراطقة من أبيونيين وغنوصيين وغيرهم. وبالتالي ظهور كتبٍ تدافع عن نفس الأفكار ونسبتها لأشخاصٍ لهم مكانتهم في الأحداث التي حدثت في الكنيسة الأولى، مثل إنجيل نيقوديموس أو أعمال بيلاطس.

وإلى جانب هذا، فالإنجيل بأوجهه الأربعة لم يدون فيه كل ما عمله وعلّمه المسيح، وما كان منتشرًا في التقليد الشفهي، بل كُتِب ما يؤدي بالمؤمن إلى الحياة الأبدية في المسيح، كما يقول إنجيل يوحنا: «وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تَلاَمِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ»(يوحنا 20: 30-31).
فأخذت هذه التقاليد تُكتَب بعد أن استدارت وتوسعت وبالتالي تأثرت بالعقائد المسيحية بعد أن تم شرحها ووضعها في صيغٍ لاهوتيةٍ معينة، مثل إنجيل توما الذي تأثر بالفكر الأرثوذكسي وأيضًا الغنوصي.

وكان هناك عاملٌ أخطر وأقوى وهو ظهور الأفكار الهرطوقية ومحاولة إيجاد صيغٍ ونصوصٍ توازي الأسفار القانونية وتدافع عن هذه الأفكار والعقائد. فانطلقت هذه الهرطقات (بنظر الكنسية الكاثوليكية الأرثوذكسية الشرقية الرسمية) خاصةً الغنوصية، تأخذ آيات الإنجيل القانوني بأوجهه الأربعة، وتصيغها بحسب أفكارها ومعتقداتها، مثل إنجيل فيليب وإنجيل بطرس وإنجيل مريم المجدلية، والتي انطلقت من نصوص الإنجيل القانوني وراحت تصيغها بحسب فكرها وعقيدتها.

بل واتخذت بعض هذه الكتب من قول الإنجيل القانوني: «وَبِأَمْثَال كَثِيرَةٍ مِثْلِ هذِهِ كَانَ يُكَلِّمُهُمْ حَسْبَمَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْمَعُوا. وَبِدُونِ مَثَل لَمْ يَكُنْ يُكَلِّمُهُمْ. وَأَمَّا عَلَى انْفِرَادٍ فَكَانَ يُفَسِّرُ لِتَلاَمِيذِهِ كُلَّ شَيْءٍ»(مرقس 4: 33-34) «قَدْ أُعْطِيَ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ اللهِ، وَأَمَّا لِلْبَاقِينَ فَبِأَمْثَال، حَتَّى إِنَّهُمْ مُبْصِرِينَ لاَ يُبْصِرُونَ، وَسَامِعِينَ لاَ يَفْهَمُونَ»(لوقا 8: 10)، ذريعةً لكتابة كتبٍ ونسبتها للرسل ووصفتها بالكتب المعدّة للخاصة فقط! وكل منها يزعم أن المسيح كشف لأحد الرسل والتلاميذ، مثل توما أو فيليبس، له وحده أسرارًا لم يكشفها لغيره، وذلك في صيغة إنجيلٍ أو رؤيا؛ مثل إنجيل فيليبس ورؤيا بطرس وأعمال يوحنا، التي يزعم كل كاتبٍ لها أن المسيح كشف له وحده فيها سر الصليب.

وكان المصدر الأول لهذه الأبوكريفا هو العهد الجديد نفسه، فقد استقت الكتب الأبوكريفية مصدرها واعتمدت بالدرجة الأولى على الإنجيل القانوني بأوجهه الأربعة، فشرحت ما بدا أنه غامضٌ فيها وأضافت إليها عباراتٍ وأفكارًا

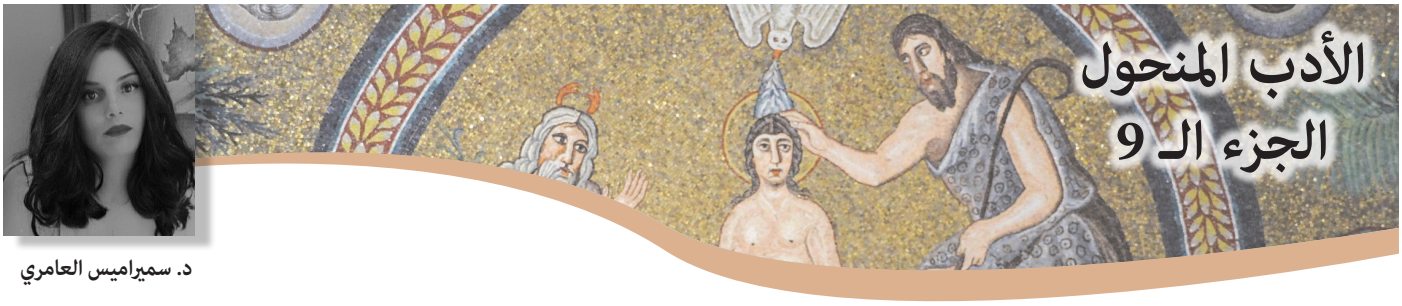

د. سميراميس العامري

تؤيد معتقداتها وقدمتها بشكلٍ أسطوريٍّ خياليٍّ يتناسب مع أفكارها. وقال «وستكوت» عن الأجزاء الباقية من إنجيل الأبيونيين «فهي تبيّن أن قيمته ثانوية، وأن المؤلف قد استقى معلوماته من الأناجيل القانونية، وبخاصةٍ الأناجيل الثلاثة الأولى، بعد أن جعلها تتفق مع أراء وممارسات الأبيونية الغنوصية».

وكان سفر أعمال الرسل هو السند الأول لأسفار الأعمال الأبوكريفية، ولكن بفنٍّ وحبكةٍ وفكرٍ يوناني. وقامت هذه الأعمال بتوسيع نصوص سفر الأعمال القانوني إلى أعمالٍ مستقلةٍ بتوسيعها والإضافة إليها والحذف منها، مع وجود بعض التقاليد الخاصة بكل رسولٍ في منطقة كرازته، لتخرج لنا عدة أعمالٍ مستقلة. وعلى سبيل المثال فقد اتخذ كاتب أعمال بولس من سفر أعمال الرسل إطارًا له، ويفتتح القسم الروماني من أعمال بطرس برحلة بولس الرسول إلى إسبانيا بعد أحداث سفر أعمال الرسل(إصحاح 28). واعتمد كاتب الرسالة إلى اللاودكيين على رسائل بولس، خاصةً الرسالة إلى غلاطية والرسالة إلى أفسس.

وإلى جانب ذلك، فقد تأثرت هذه الكتب بالروح الأسطورية النابعة من البيئة الهيلينية (اليونانية) التي كُتِبت وانتشرت فيها، فقد ساد بعضها روح أدب الرحلات التي كانت سائدةً في القرن الثاني كأعمال توما، وحوى إنجيل الطفولة العربي عددًا من القصص الشرقية. وكانت أغلب الأعمال المنسوبة للرسل من اختراع الروح الهيلينية التي كانت تجد لذتها في الخوارق والكتابات الرومانسية عن الرحلات. كما احتوت هذه الأعمال على تقاليد كثيرةٍ لها أساسٌ تاريخيٌّ صحيح، واحتفظت بها الجماعات المسيحية وكتبوا هذه الأعمال الأبوكريفية لتقديم هذه التقاليد بكل تفصيلٍ، ولكن هذه البذور القليلة من الحقيقة تاهت ودُفِنت في أكوامٍ من الأساطير.

3 - الهدف من كتابة الأناجيل المنحولة

الخلاصة أن هذه الكتب قد كُتِبت، في الأصل، لتأييد المسيحية اليهودية بطريقةٍ غير مباشرةٍ والادعاء بأن تعليمها إلهيٌّ، أو لتفصيل الأناجيل القانونية بإضافة إضافاتٍ أسطوريةٍ لإعطاء أهميةٍ لبعض المفاهيم التي سادت بعض الدوائر ولنشر وتأكيد أفكار هذه البدع، فأعمال يوحنا مثلًا تستخدم اسم الرسول العظيم لتبرير وتأييد وجهة النظر الدوسيتية.

4 - موقف الكنيسة من هذه الكتب

كان للكنيسة، منذ البدء، تعليمها الذي تسلمته من الرسل والذين تسلموه بدورهم من الرب يسوع المسيح، كقول الرسول: «أَنَّنِي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضًا»(رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 11: 23)، كما بيّنَّا تفصيلًا في الفصل السابق.

الأدب المنحول
الجزء الـ 9

د. سميراميس العامري

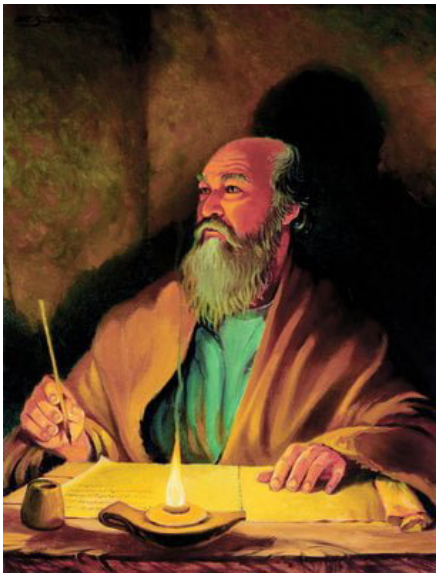

أما هذه الكتب الأبوكريفية، فلم يتسلمها أحدٌ لا من الرسل ولا من غيرهم ممن خلفوهم، وإنما خرجت من دوائر أخرى خارج حظيرة الكنيسة، وهي دوائر الهراطقة التي، كما يقول ترتليان (145-220م)، لا تمتّ للرسل أو من خلفوهم بصلة، والتي كانت شديدة الخصوبة في إصدار مثل هذه الكتب. وبرغم معرفة علماء الكنيسة، في القرون الأولى، بمصدر هذه الكتب وأهدافها، إلا أنهم درسوها وفحصوها ولم يترددوا بعد ذلك في رفضها ووصفها بأنها كاذبةٌ ومزورةٌ ولا تستحق مجرد الاهتمام بها.

وقال إيريناؤس (120-202م): «إن الهراطقة الماركونيين أصدروا عددًا لا يُحصَى من الكتابات الأبوكريفية المزورة التي زيّفوها بأنفسهم ليذهلوا عقول الحمقى».

وقال يوسابيوس القيصري (240-264م): «إنها معروفةٌ عند معظم الكتاب الكنسيين، وإنه في مقدورنا أن نميز بين هذه الكتب القانونية وتلك التي يصدرها الهراطقة بأسماء الرسل مثل إنجيل بطرس وإنجيل متى (المنحول) وغيرها، أو مثل أعمال أندراوس، ويوحنا، وغيرهما من الرسل، فلم يحسب أي واحدٍ من كتّاب الكنيسة أنها تستحق الإشارة إليها في كتاباتهم. وفي الحقيقة أن أسلوبها يختلف اختلافًا بيّنًا عن أسلوب الرسل، كما أن أفكارها ومفاهيمها بعيدةٌ جدًّا عن الأفكار القويمة الصحيحة، وهذا دليلٌ على أنها من صنع خيال الهراطقة، ومن ثم وجب ألا تُحسَب بين الكتابات المزيفة فحسب، بل يجب أن تُرفض كليّةً باعتبارها سخيفةً ونجسةً».

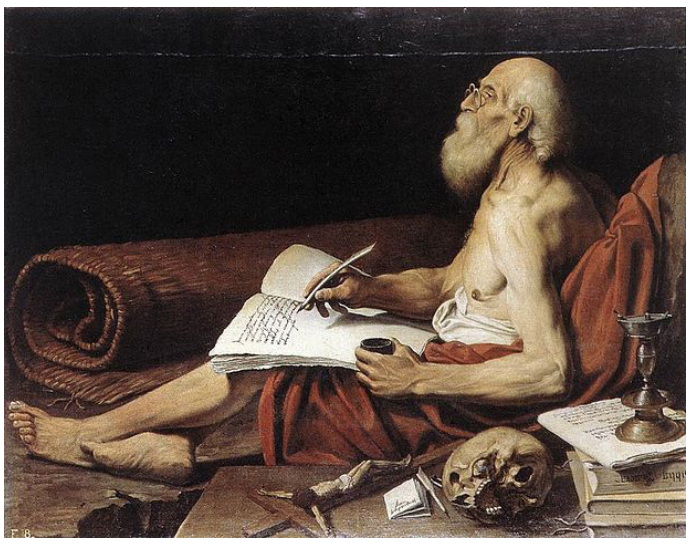

وقال فوتيوس بطريرك القسطنطينية في النصف الثاني من القرن التاسع: «إن لغتها خاليةٌ تمامًا من النعمة التي تتميز بها الأناجيل وكتابات الرسل، وغاصّةٌ بالحماقات والمتناقضات». ثم يختم بقوله إنها تحوي «عشرات الآلاف من الأشياء الصبيانية التي لا تُصدَّق، السقيمة الخيال، الكاذبة، الحمقاء، المتضاربة، الخالية من التقوى والورع، ولا يجافي الحقيقة من ينعتها بأنها نبع وأم الهرطقات».

جمعية إنارة

نسعى لتعزيز مكانة العقل والمنطق السليم في فهم مختلف الظواهر وتوطيد الفكر والسلوكيات المدنية

منذ إنشائها قامت جمعية «إنارة» اللادينية بالمساهمة الفاعلة في المشهد التونسي والعربي سواء على المستوى الاجتماعي أو الحقوقي.

شمل ذلك العديد من الحملات مثل «لماذا تركت الإسلام» والوقفات التضامنية مع ناشطين لادينيين كالمصري أحمد حرقان والتونسية آمنة الشرقي، وجمع تبرعات لقضايا لادينية كإنشاء صندوق للإحاطة باللادينيين ومساعدة والدة سجين لاديني.

كذلك قامت الجمعية بعقد ندوات فكرية وشارك أعضاؤها في حوارات إعلامية، إضافة إلى الجهود التنموية المحلية كعقد دروس في اللغات في مقر الجمعية.

http://www.inaratn.com/
+34 637 47 38 23
contact@inaratn.com
fb.com/associationinara1

بين أخلاقين

Moussa Eightyzz

لو اتفقنا أن التعريف العام للأخلاق هو: منظومة قواعد سلوكيةٍ تزيد الأمن والسعادة بين أفراد المجتمع، وأنها تستند إلى غرائز تطوريةٍ تهدف لحفظ النوع: كالتعاطف والتعاون والأمومة، وهذا سيعني أن الأخلاق - في أصلها والهدف منها- ثابتة.

ولكن لأنّ الظروف تتغير، فما يفيد فلانٌ قد يؤذي علاّنا، وما نفعنا بالأمس قد يضرنا اليوم، ولأنّ الأخلاق لا تقوم على غرائز وتنظيراتٍ فقط وإنما على خبراتٍ واعيةٍ وخبراتٍ متجددة، فسنقول كذلك أن الأخلاق- في تطبيقاتها- متغيرة.

بين أخلاقين

Moussa Eightyzz

ولا أبالغ لو قلت أن أكثر خلافاتنا الفكرية والاجتماعية و السياسية المعاصرة يمكن إرجاعها- ببعض التبسيط- إلى المنافسة بين منظومتين أخلاقيتين رئيسيتين، نشأت كلٌ منها في بيئةٍ مختلفة، سأسميهما أخلاقًا تقليديةً وأخلاقًا حديثةً.

هل أنت مع العلمانية أو دور الدين في المجتمع؟ مع المساواة بين الجنسين أم أنّ لكلٍّ منهما دورًا؟ مع حقوق المثليين أم مع «قيم الأسرة»؟ مع الحرية الجنسية أم فرض «العفة» والنظام؟ مع الثورات الشعبية أم الإصلاح التدريجي؟ مع حرية الفن أم الرقابة؟ هل ترى أن ملابس المرأة هي السبب في التحرش؟ هل ترى الأجيال الجديدة ضائعةً متمردةً أم موهوبةً طامحةً؟

يتوقف الجواب على موقفك من المنظومة المجتمعية والأخلاقية المناسبة.

الأخلاق التقليدية مستمدةٌ من تاريخ الإنسانية وتجاربها عبر الزمن، وقد تختلف حسب نوع المجتمع- زراعيٌ أو بدوي- ولكن القواعد العامة تقريبًا واحدة: لو لدينا جماعةٌ صغيرةٌ متقاربة، تعيش حياةً بسيطةً، وتربط أفرادها علاقات قرابةٍ ونسبٍ ومصاهرة، وتتشابك مصالحهم بشكلٍ كبير، وغالبًا تحيط بهم الأخطار من كل جانب: كوارث طبيعيةٌ أو أمراضٌ أو أعداءٌ طامعون أو مجاعاتٌ وصراعٌ على الموارد.

تلك الحياة تفرز أخلاقها الخاصة: المجتمع البدائي يزدهر معًا أو يهلك معًا، ولذا فالتعاون ضروريٌ لصالح الجماعة، ولا يوجد مكانٌ كبيرٌ للأنانية أو الخصوصية أو الحريات المنفلتة، والتي قد تعني الدمار للجماعة كلها. في القبيلة نحن نسكن ونعمل ونلعب ونغنّي ونحب ونكره ونحارب معًا، ونتعاون فيما بيننا ونرعى الضعيف والمريض، ولكن لا ننسى أن سلوكًا صحيًا خاطئًا واحدًا قد ينقل المرض للجميع، وتصرفًا جنسيًا خاطئًا واحدًا قد يجعلنا نربي ابن الغريب في وسطنا يلتهم مواردنا المحدودة، وكلمةً خاطئةً قد تشعل الفتنة بيننا وتقيم حربًا تشعل القرية كلها.

وعلى الجانب الآخر فالمجتمعات الحديثة تختلف جذريًا، حيث يعيش الناس في مدنٍ ضخمةٍ ويسكنون ناطحات سحابٍ أشبه بالصناديق المقفلة، ولا تربطهم علاقات الرحم وإنما علاقات التعاقد، في العمل والشراكة والإيجار، وحيث تكون صلة المواطنين بالدولة- ممثلةً في الجهات الرسمية التي تأخذ منهم الضرائب وتُقدم لهم الرعاية - بديلًا عمليًا يكاد يغني عن صلتهم ببعضهم البعض.

Moussa Eightyzz

بين أخلاقين

تلك الحياة تفرز أخلاقًا مختلفةً: حيث تغلب الفردية، فكل إنسانٍ مسؤولٌ عن نفسه، وحيث سلوكك الشخصي في بيتك لن يضرني، وبالتالي لا يهمني، طالما تعاملك معي منضبطٌ ماليًا وإداريًا.

باختصار، في المجتمع التقليدي تسود الأعراف والمصلحة الجماعية المتعاونة، بينما في المجتمع الحديث فالحكم للقانون وللمصالح الفردية.

ونظرًا للمخاطر الجماعية المستمرة- كالأوبئة أو الحروب- فالتعاون هو طوق النجاة للمجتمع التقليدي، وهنا الفرد يخدم الجماعة، ويتم تقييمه أخلاقيًا حسب ولاءه وإخلاصه لجماعته، وفي هذا الإطار نجد تعظيم قيم الشجاعة والبطولة والوفاء والتضحية، وأحيانًا القوة والشراسة وقت اللزوم، وهنا لا يمكن احترام الضعف أو التسامح تجاه الأعداء. وأما في المجتمع المسالم المستقر، فالأمور أقل بساطةً وأقل دراميةً، والخير والشر أقل وضوحًا، ففي السلم وتحت حكم الدول نجد أن العلاقة بيننا ليست صفريةً (إما أنا وإما أنت) وإنما هي علاقة تبادل مصالح تقوم على المواثيق والمساومات والميزات النسبية، حيث الكل يمكن أن يربح بشكلٍ ما. أي أن العلاقات القديمة هي بالأساس علاقاتٌ حربية، وأما العلاقات الحديثة فهي أخلاقٌ تجارية.

وأمّا صمّام الأمان الداخلي في المجتمع التقليدي فهو «التراتبية»، هي كلمة السر التي تضع كل شيءٍ في مكانه، فالحاكم فوق المحكومين، والكبير فوق الصغير، والرجل فوق المرأة، والأب فوق أولاده، حسب الشكل الهرمي الشهير. هذا ليس من باب القهر أو التسلط، وإنما جزءٌ من الأعراف التي تهدف لحفظ الأمان والتماسك المجتمعي، ولكن بالطبع فإن القهر يأتي كعرضٍ جانبي، خاصةً على الطرف الأضعف كالنساء والأقليات، لذلك تجد أن العبودية هي جزءٌ طبيعيٌّ جدًا من العالم القديم، وكذلك الدكتاتورية وتدخّل السلطة في حياة الفرد، وتجد أن الطاعة أهم من المساواة أو الحرية، وهي معيار الأخلاق الحقيقية.

على الجانب الآخر فالمجتمع الحديث- نظريًا- يتماسك بفضل الدولة والقانون ممثلين في الشرطة والقضاء، والتي تحفظ العلاقات التعاقدية والاقتصادية، وأما الشؤون الشخصية - كالزواج والطلاق - فهي لا تكاد تهمّ سوى أصحابها. هذا الوضع أفرز نوعًا من الحرية والمساواة الإجرائية الطبيعية، حيث العلاقات بين المواطنين شبه أفقية، جميعهم ينتمي فقط للدولة والتي - يُفترض أنه- يشارك في انتقاء رجالها، وحتى التسلط يكون جزئيًا مقتصرًا على الجانب الإداري في مكان العمل فقط، وما يتحكم في حياة الفرد هنا هو السعي للُقمة العيش بوجهٍ عام، وليس الولاء أو التبعية لجهةٍ معينة.

Moussa Eightyzz

وفي قمة الهرم يكمن الحاكم، والذي هو - في الفكر التقليدي- بمثابة أبٍ راعٍ يعمل على حماية شعبه، ويحصل على كامل ولائهم وخضوعهم، وأما في المجتمعات الحديثة فالحاكم هو مجرد موظفٍ رسميٍّ يعمل خادمًا لدى الشعب إلى أجلٍ قصير. في المجتمع التقليدي، الأخلاق هي النظام العام، والعدو هو الفوضى، وأما في المجتمع الحديث، فالأخلاق هي حقوق الإنسان وحريته، والعدو هو القهر والتسلط.

أهم نواةً في المجتمع التقليدي هي الأسرة، والتي هي جزءٌ من التراتبية الهرمية إياها، ولذلك تجد - مثلًا- أن خضوع الزوجة لزوجها، أو الأبناء لأبيهم، هو جزءٌ أساسيٌّ من استقرار المجتمع حسب الذهنية التقليدية، كما تجد أن مظاهر التمرد- ولو كانت في ملبسٍ أو أغنيةٍ أو أوشام- هو نذيرٌ يدق ناقوس الخطر مؤذنًا بانهيار المجتمع كله.

وأما المرأة هنا فيبدو أنها لا تصلح للحياة الخشنة الشاقة كالرجل، ولكنها على الجانب الآخر لها دورٌ خطيرٌ جدًا، وهي أنها الوعاء الإنجابي للمجتمع وضمان استمراريته، مما أفرز وضعًا غريبًا متناقضًا - ثنائي القطب- للمرأة، حيث صارت محتقرةً- إنسانًا من الدرجة الثانية- وبنفس الوقت صارت عورةً وجوهرةً غاليةً يجب على الذكور الحفاظ عليها، من باب الحفاظ على نسلهم العزيز.

وأما في المجتمع الحديث فالمظهر والسلوك الفردي لا يؤثران كثيرًا، لأن استقرار المجتمع يقوم على عوامل أخرى كما ذكرنا، وبالتالي هذا يفتح المجال لمزيدٍ من الحرية الفردية، وأما المرأة فدورها الأهم ليس كونها أداة إنجابٍ أو جنس، وإنما هي مُواطن، إنسان، يدٌ عاملة، لها حقوقٌ وعليها واجباتٌ كالرجل، وكذلك الحال في قضايا مثل المثلية، فالحداثي لا يهتم بما يفعله الناس في غرف نومهم، طالما ذلك لا يؤثر عليه، ومن هنا تحديدًا يخرج لنا مفهوم الليبرالية.

هذا الفارق بين المنظومتين يمكن أن يوضّح لنا - مثلًا- سبب الخلاف حول قضيةٍ مثل التحرش: حيث نجد البعض يعتبرها- ببساطةٍ- جريمةً لا يبررها شيء، بينما نجد البعض الآخر يلوم المرأة أو - بالأحرى- يغضب من ملابسها و«انفلاتها» أكثر من غضبه تجاه جريمة التحرش ذاتها، والتفسير ربما أن الفريق الثاني ينتمي إلى الأخلاق التقليدية، والتي ربما يزعجها التحرش أيضًا، ولكنها تتغاضى عنه ضمنيًا كونه يتماشى مع منظومتها، كونه لا يخرق الهرم التراتبي (حيث الرجل فوق المرأة)، وأما الملابس المتعرية فهي تغضبهم بجنونٍ - ليس بالضرورة حرصًا على العفة- وإنما لأن العري يعبّر- في نظرهم- عن تمرد النساء عمومًا على الرجال وعلى السلطة وعلى قيم الأسرة، وهي كارثةٌ ما بعدها كارثة.

Moussa Eightyzz

بين أخلاقين

مثال آخر نجده فيما يسمى «جرائم الشرف»، والتي تبدو في نظر الحداثي جرائم مرفوضةً، وأما التقليديُّ فيتفهّم الدافع ويعذر القاتل، بل وقد يعتبره - سرًا- أشبه ببطلٍ مدافعٍ عن قيم النظام والعفة في المجتمع. بشكلٍ عامٍ القيمة الكبرى عند الحداثي هي الإنسان وفقط، والأخلاق عنده فرديةٌ تتمثل في الالتزام بالقانون والسلوك اللطيف و(الإتيكيت) ومراعاة الآخرين، بينما القيمة الكبرى عند التقليدي هي قيم الجماعة: احترام الأجداد والتراث والهوية، والأخلاق عنده تتمثل في الشرف والبطولة والتعاون ونصرة الجماعة والخضوع للنظام، وبينما الحداثي يزعجه فقط خرق حقوق الأفراد والاعتداء عليهم، نجد أن ما يزعج التقليدي بالأساس هو كلّ ما ينذر بقلب الهرم المجتمعي أو زعزعته.

وهنا يأتي دور الدين، فالمجتمعات التقليدية تقوم على الدين كأحد أهم أعمدتها، فالدين ينسجم مع التقاليد- ينبع منها وتنبع منه- وهو بطبيعته يرسّخ لطاعة الصغار للكبار، ولقيم الأسرة الهرمية التقليدية، وهو يخلق هويةً شاملةً للجماعة تجعل الفرد خاضعًا للمنظومة.

وبالمناسبة: فالدين- بهذا التعريف- لا يشترط أن يتضمن الإيمان بإله، فبعض الأديان هي فلسفاتٌ روحيةٌ لاربوبية، كالبوذية وبعض مذاهب الهندوسية، ولكنها مع ذلك تتضمن عناصر المنظومة الاجتماعية التقليدية التي توحّد الشعب، والموجودة في سائر الأديان، كالهوية الجامعة والمعابد، والأعياد والتجمعات والتراتبية.

بل حتى المذاهب العلمانية واللادينية في العصر الحديث، كالنازية أو تطبيقات الشيوعية، جميعها تشبه الأديان بشكلٍ ما من الناحية الهيكلية، من حيث تعظيم روح الجماعة الكبرى مستلهمةً رموزًا كالأعلام والأعياد، وتغليبها إلى درجة سحق الفردية، مع تعظيم قلةٍ استثنائيةٍ من الأفراد- القادة- الذين يكونون قدوةً للبطولة ورموزًا للجماعة، والإيمان بجماعةٍ مختارة (شعبٍ أو طبقة) تكون فوق الجميع، وفي حالة صراعٍ دائمٍ مع الجميع، حتى النصر المنتظر، وأما التقليديون الأقل تطرفًا، فستجدهم مع ذلك يعظّمون من دور الدين في الحياة العامة، ويؤكدون على أهميته في حفظ الأسرة والتي هي نواة المجتمع بنظرهم.

على الجانب الآخر من وجهة نظر الفكر الحداثي، فالدين- كالأسرة، هو شأنٌ شخصي، ولا تقوم عليه المجتمعات، بل قد يصبح الدين عائقًا ضارًا أمام الحرية والتقدم والحقوق

Moussa Eightyzz

الفردية، حين يصبح أداة تسلطٍ أو قهرٍ أو تدخلٍ في حياة البشر- وهنا يجب تحييد الدين جانبًا، مع الحرص على عدم استبداله بمنظوماتٍ اجتماعيةٍ شموليةٍ شبيهة، حتى ولو كانت إلحادية.

ختامًا فتلك التقسيمة - بين تقليديٍّ وحداثي- للتبسيط هي مسألةٌ نظريةٌ، فالواقع أكثر تعقيدًا ويحتمل أكثر من أسلوبٍ للتقسيم، بل إن كلًّا من النوعين يمكن تقسيمه إلى أنواعٍ فرعية، ولا يجب الظن بأن الغرب مثلًا حداثيٌّ بينما الشرق تقليدي، فعمليًا المجتمعات اليوم هي مزيجٌ من التقليدية والحداثة، ورُب مدينةٍ شرقيةٍ تمتلك منظومة قيمٍ حداثيةٍ أكثر من الريف الغربي، كما لا نقول أن هناك منظومةً «أفضل» بالضرورة من الأخرى، وإنما كلٌّ منهما نشأ وتبلور في ظروفٍ مختلفة، وربما كلاهما يسعى لنفس الهدف: أمان وسعادة البشر، لكن المؤكد أن محاولتنا لفهم المنظومتين واختلافهما هي خطوةٌ ضروريةٌ للوصول إلى صيغٍ عمليةٍ تقرّب وجهات النظر حول كل القضايا المعاصرة.

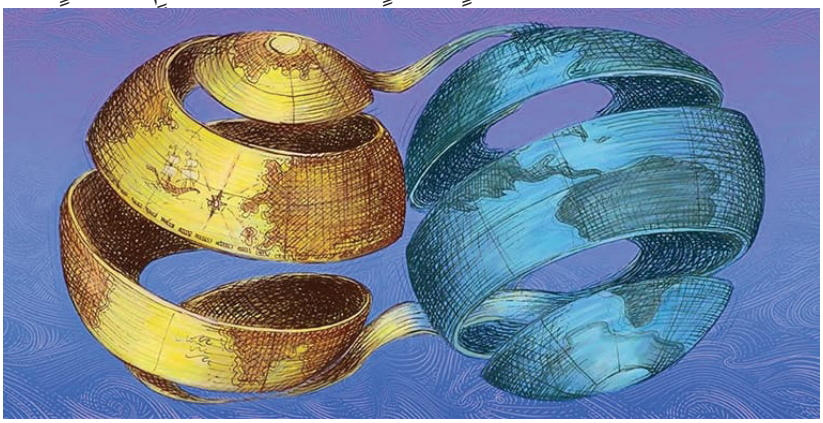

مشروع مستمر لتوثيق فكر وخطاب اللادينيين الناطقين بالعربية

شاركونا موضوعاتكم وكتاباتكم لتصل للقراء
هدفنا توثيق الكتابات والتوعية ونشر الفكر المتحضر
موضوعاتنا علمية، دينية، ثقافية

راسلونا على: el7ad.organisation@gmail.com

مجلة الملحدين العرب
معًا نحو مستقبل منير

http://arabatheistbroadcasting.com/aamagazine
https://aamagazine.blogspot.com
https://www.facebook.com/A.A.MagazineOfficial
https://issuu.com/928738
https://twitter.com/A_A_Magazine

نافذة على اللّه

أو مفهوم الإله بين العلم والدين

برتراند راسل ونخبةٌ من العلماء الآخرين

د. جواد بشارة

مقدّمة المؤلف والمترجم

منذ فجر البشرية وإلى يوم الناس هذا كان الثالوث المحير ـ الله، الدين، العلم ـ يثير الخوف والخشية، وفيه طرفان يدّعيان امتلاك الحقيقة المطلقة بينما يعمل الثالث على اكتشاف الحقيقة النسبية القابلة للتغيير والتطور كلّما تقدّمت التكنولوجيا والنظريات العلمية التي بحوزته

نافذة على الله
أو مفهوم الإله بين العلم والدين

د. جواد بشارة

ولكن هل توجد حقًا «حقيقةٌ مطلقة»؟ فالإله يأخذ أشكالًا وتعاريف وماهياتٍ وصفاتٍ مختلفةً من طرفٍ لآخر، ولا ندري إن كان موجودًا حقًا أم هو مجرد فرضيةٍ أو ضرورةٍ سيكولوجيةٍ أوجدتها الأديان والمعتقدات البشرية وعَزتها لذاتٍ متعاليةٍ متساميةٍ أسمتها الله، بكلِّ لغات الأرض.

أمّا الدين فقصته أكثر غموضًا وخطورةً. فلقد حكم وسيّر سلوك البشر وما يزال منذ آلاف السنين، وأوجد مؤسساتٍ دينيةً أفرزت كافة أنواع الشرور والعنف والحروب والبَطش والقتل الوحشي والتكفير والسيطرة على عقول البشر باسم الإله أو الرب أو الله، أمّا الطرف الثالث فهو ما يزال يحبو ويجرّب، يفشل هنا وينجح هناك، على نحوٍ نسبيٍ ويسعى إلى تحسين الوعي البشري والبحث عن أجوبةٍ للأسئلة الكُبرى التي تطرحها الإنسانية على نفسها، عن الأصل والمصير، عن المستقبل والمآل الذي ينتظر البشرية ويبقى صعبًا على الإدراك والفهم العام عدا نخبةٍ قليلةٍ من العلماء، ويواجه دومًا جملةً من التحديات والظواهر التي يعجز عن فهمها وتفسيرها ومنها أصل الحياة وسِرّها. ما معنى الحياة؟ أو ما معنى وجودنا بشكلٍ عام؟ من الوهلة الأولى يبدو أنّه سؤالٌ ينتمي إلى حقل الفلسفة والدين والفكر المجرّد، ولا علاقة له بالعلم. لكن الكثير من موضوعات الفلسفة والدين صارت تقع الآن تحت طائلة العلم، وبالأخص علم الفيزياء. وما هذا الكتاب سوى محاولةٍ متواضعةٍ للغوص في هذه الأقانيم المجهولة لإيقاد شمعةٍ في ظلمة الوجود.

توطئة

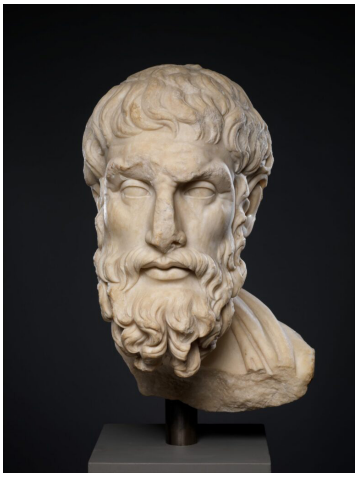

تساءل الفيلسوف الإغريقي المُلحد أبيقور: «إذا كان الله على استعدادٍ لمنع الشر، لكنه غير قادرٍ على ذلك، فهو ليس كليُّ القدرة، وإذا كان قادرًا، ولكن لا يريد، فهو خبيث، وإذا كان قادرًا وذا مشيئة، فمن أين يأتي الشر؟ وإذا كان لا يقدر على أولا يريد درء هذا الشر، فلماذا ندعوه الله؟»

قصارى القول إن الفلاسفة كلّما أرادوا إثبات وجود الفكر في ذاته أو وجود العقل الكامل المجرّد من جميع النواحي الحسّية، أطلقوا على أسمى قمم هذا العقل اسم الإله. ومعنى هذا أنّه إذا كان الفكر المتفلسف قد تحوّل عن الديانات التقليدية فلم يكن ذلك منه إلا لقصد تأسيس نوعٍ من العقيدة الفلسفية، لها يقينياتها وفيها إلهها الذي هو على رأس الطبيعة ويدبّر كلّ شيء، وبمرور الزمن لاحظت هذه الفلسفة أنّ الديانات الشعبية تأمر بالإذعان للقوانين والأمانة للواجب واحترام الموتى، فاعتبرتها معينةً للعقل على مهمّته، فهادنتها وجعلت تُنقّب في أساطيرها عمّا عسى أن يكون مختبئًا بين طياتها من آثارٍ عقليةٍ أو عناصر فلسفية. وعندما توثّقت عُرى هذه الصلات بين الفلسفة والديانات هبّت طائفةٌ من مُفكري الجهتين وطفقتْ تُعلن في صراحةٍ حقّ الوجدان الفردي في أن يتصل بالإله اتصالًا مباشرًا دون أي تدخلٍ من جانب المجادلات الفلسفية أو الطقوس الدينية، وجعلت تُحارب النظر المنطقي بالإيمان والحب، وتعض

نافذة على الله
أو مفهوم الإله بين العلم والدين

د. جواد بشارة

الطقوس الظاهرية بالتأمل الباطني وهو جوهر التنسّك. وبهذا تمت هيكلة **الطرق الثلاثة التي تقود نحو الإله، أو المظاهر الثلاثة: الاجتماعي والفلسفي والتنسُكي**، وهي التي تبدو فيها الألوهية على مسرح الوجود البشري ولاريب أننا – إذ نعرض للألوهية في هذا السفر من خلال هذه المظاهر الثلاثة – سنقتصر على وجهات النظر الاجتماعية والعقلية والروحانية مُعْرضين مؤقتًا عن العقائد التي استقت مبادئها من الوحي، لأننا الآن بصدد منتجات الفكر الإنساني فحسب.

غير أنّ سموّ هذه المعضلة على بقية عناصر ما بعد الطبيعة، ووجودها لدى جميع الشعوب منذ بدء تواريخها لم يحولا بينها وبين أن تكون غايةً في التعقيد، وأن تبدو في صورٍ متباينةٍ تسترعي كلّ واحدةٍ منها انتباه الذهن البشري، ففي عهد اليقظة الأولى للعقل، وعندما وجد الفكر نفسه أمام هذه الأسئلة وهي من أين أتى العالم؟ ومن أين جاء الإنسان؟

لم تكن الإجابات البدائية التي نعثر عليها متناثرةً في تعليلات كهنة الديانات الوثنية، ولم تكن ردود شرّاح النواميس الكونية الطبيعية، كافيةً أو قادرةً على أن تقدّم عن الألوهية فكرةً كاملةً تُمثّل الإله كأساس الموجودات وعلّة العلل ونهاية النهايات وما إلى ذلك ممّا تشتمل عليه فكرة الألوهية اليوم من معتقدات، وإنّما كانت تُصوّر الإله في صورةٍ تلتئم مع عقليات تلك العصور الضاربة في القِدم. ولقد مضى زمنٌ غير قصيرٍ قبل أن تتكون عن الألوهية تلك النظريات الفلسفية التي يتطلبها العقل البشري الذي كان – منذ أن تنبه إلى رسالته في الحياة – في نضالٍ دائمٍ ضد تلك القوى التي كانت تبدو كأنها نواميسُ متباينةٌ تتنازع العالم وهي الضرورة العاتية والمصادفة الهوجاء، والصيرورة الأبدية. ومبدأ هذا السير نحو الهُدى، هو أنّ طلائع الفلاسفة قد اعتدّوا بعقولهم إلى حد الافتتان، وأيقنوا أنّ بإمكانها كشف أسرار الكون واضحةً جليةً من وسط هذا الخليط الكثيف الذي يشتملها.

وصدورًا عن هذا المبدأ لم يروا في هذه الفوضى التي يموج بها العالم إلّا مظهرًا خارجيًا للكائنات وأعلنوا أنّ من يعرف كيف يتأمّل في هذه الموجودات سيجد العقل والنظام ممثلين فيها بأكمل معانيهما وهكذا اعتصموا برباطٍ متينٍ مؤداه أن يكتشفوا كلّ قوى ذلك العقل العام الذي استنبط الأولون منهم دوره من أحداث الطبيعة وظواهرها ثم أخذوا يجرّدونه ويسمون به شيئًا فشيئًا ويُلحّون على إبراز المفارقات التي تميّزه عمّا عداه حتى جعلوا البون بينه وبين غيره من الكائنات التي لها علائق بالمادة هائلًا، وأبانوا رفعته على آلهة الأساطير والديانات البدائية، وبرهنوا على أنّه أجدر منهم بالألوهية وأحقّ بإحراز أوصاف الكمال. ومصدر سموّه على ما عداه هو أنّه عقلٌ وأنّ «الطبيعة» – كما يقول أرسطو – «متعلّقةٌ بالعقلِ، ولكنّها عاجزةٌ عن أن تساويه».

نافذة على الله
أو مفهوم الإله بين العلم والدين

د. جواد بشارة

الفصل الأول

الله: بورتريه تجريدية، غائمةٌ ومضبّبةٌ وغير واضحة المعالم

لقد شُوِّهت عبارة (الله أكبر) وأصبحت كنايةً للرعب والجريمة والعنف والإرهاب والوحشية والبطش والقتل باسم الله الذي أورد في نصوصه المقدّسة للأديان التنزيلية السماوية آياتٍ في القتل والتدمير والإبادة والعنف، ولكن هل صحيحٌ أنّ تلك النصوص تنطُق عن الله وهو الذي أرسلها؟ النصوصُ الدينية تعمل -من حيث وعت أم لم تعِ ذلك- على تجسيد وشخصنة الله وتشبيهه بالبشر على اعتبار أنّه خلقهم على صورته، فهو مثلهم يغار ويفرح ويغضب وينتقم ويعطف ويسامح ويعفو ويكافئ وبيده العقاب والثواب.

فمن هو هذا الله؟ ما هي صفاته؟ ما هي طبيعته؟ ما هي ماهيته؟ ما هو جوهره؟ ما هو دوره؟ هل هو كينونةٌ موجودةٌ في المكان والزمان، أم خارج الزمان والمكان؟ أين يتواجد؟ وهل هو موجودٌ حقًا؟ متى ظهرت فكرة الألوهية ولماذا؟ من الذي ابتكر فكرة الإله الواحد الأعلى المتسامي الخالق الخالد القادر على كل شيء؟ هل هم اليهود؟ هل هو مُذكرٌ أم مؤنّث؟ هل يعلم كلّ ما كان ويكون وسيكون؟ أي يحيط بعلمه الماضي مهما قَدِمَ، والحاضر والمستقبل مهما بعُد؟ هل إله اليهود والمسيحيين والمسلمين هو نفس الإله وإن اختلفت التسمية؟ ما علاقة إله الأديان التوحيدية بمجمّع الآلهة القديمة في عصر الحضارات الأولى السومرية والأكدية والآشورية والبابلية، والفرعونية والإغريقية، والهندية، والصينية، والفارسية؟ مَن كَتب الكتب والنصوص المقدّسة التي تحدثت عن يهوه والإلوهيم والربّ ذي الأقانيم الثلاثة والله الإسلامي؟ ماهي الأوصاف التي أسبغتها الأديان على الله وأسبغتها الفلسفة الربوبية عليه، وأخيرًا العلم كيف يراه وما هي المقاربة العلمية التي يتعاطى بها العلم مع مفهوم الله ... إلخ؟ هناك أسئلةٌ لا تنتهي بخصوص الإله (الله) المطلق الذي أوجد الوجود وعبّرت عنه نظرية وحدة الوجود الصوفية. في الحقيقة هناك شبه استحالةٍ للإجابة على أيٍّ من هذه الأسئلة على نحوٍ قاطعٍ ومثبتٍ ومبرهنٍ لا يمكن دحضه، فـ «الله» هو لغزٌ غامضٌ حتى لمن يؤمن به، فما بالك بمن يُنكر وجوده.

ظهر الإله (Dieu) متأخرًا في تاريخ البشرية. فالإنسان الموجود على الأرض منذ عدة ملايين من السنين لم يكن يمتلك فكرةً واضحةً ودقيقةً عن شيءٍ أو كينونةٍ تدعى «الله أو الرب أو الخالق» ومن الناحية العلمية تشير التنقيبات الأثرية الآركيولوجية أنّ أوّل تمثلٍ لفكرة الألوهية ظهر قبل حوالي عشرة آلاف سنة. كانت هناك ربّاتٌ أنثوية (déesses) سبقت ظهور الإله، أو الآلهة. الإله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد، كما يقول المسلمون، وهو الذي يُعبد في أركان الأرض اليوم.

نافذة على الله
أو مفهوم الإله بين العلم والدين

د. جواد بشارة

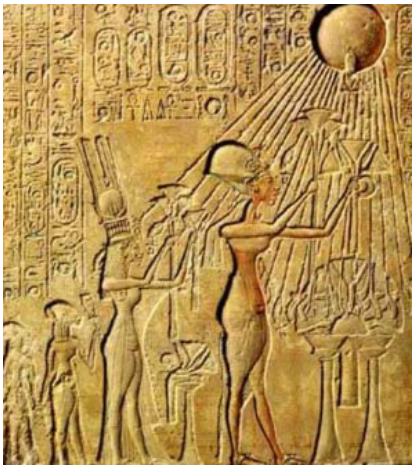

أما الأديان التوحيدية الثلاثة الرئيسية، اليهودية والمسيحية والإسلام، فقد ظهرت متأخرًا، وأول فكرةٍ توحيديةٍ كانت قد تبلورت في زمن الفراعنة في مصر في القرن الرابع عشر قبل الميلاد تحت حكم الفرعون أمنحوتب الرابع Amenhoteb، والذي غيّر اسمه إلى «أخناتون Akhénaton» إشارةً إلى عبادة إله الشمس «آتون Aton» والذي فرضه الفرعون كإلهٍ وحيد، لكن عبادة الآلهة المتعددة سرعان ما عادت بعد وفاة الفرعون أخناتون، كما ذكر ذلك سيغموند فرويد في كتابه «موسى والتوحيد».

واحتاج الأمر انتظار منتصف الألف الأول قبل الميلاد كي تُختبر الديانة التوحيدية في إسرائيل من خلال عبادة يهوه Yahvé، وفي بلاد فارس من خلال عبادة آهورا مازدا (Ahura Mazda)، فالأقوام البدائية في حقبة ما قبل التاريخ لم يعرفوا مفهوم الإله أو الآلهة، فلا توجد آثارٌ آركيولوجيةٌ أحفوريةٌ أثريةٌ عن الدين الذي يُسيِّر حياة البشر آنذاك .وهي الحقبة التي سبقتْ التحول إلى العصر الحجري الحديث Néolithique قبل حوالي اثني عشر ألف عامٍ عندما بدأ أسلافنا بالتوطين والاستقرار في بقعٍ أرضيةٍ وتأسيس تجمعاتٍ على هيئة قرًى، تطورت فيما بعد إلى مدن، ولكن توجد بعض المؤشرات التي تسمح لنا بتصورٍ ما عن وجود معتقداتٍ يمكن أن نسمّيها «دينيةً» لدى إنسان ما قبل التاريخ.

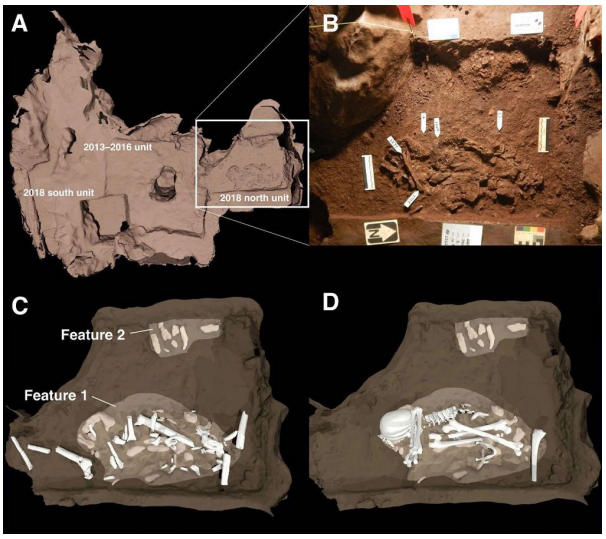

أهم تلك المؤشرات طقوس الموت، ففي وقتٍ ما بدأ البشر بممارسة طقوسٍ تصاحب الموت، الأمر الذي لم تقم به باقي الكائنات الحية، وقد عُثر على أقدم قبرٍ في فلسطين يعود تاريخه إلى حوالي المائة ألف عام. الهوموسابين Homosapiens، الإنسان الحديث المنتصب كان يضع جثث موتاه في وضع الجنين في اللحد بعنايةٍ فائقةٍ ويغطيهم باللون الأحمر قبل دفنهم وبجانبهم بعض الأدوات البدائية التي كانوا يستعملونها في الصيد لأنهم ربما كانوا يعتقدون أن أمواتهم سيعودون للحياة وسيحتاجون لتلك الأدوات، وهو تفكيرٌ رمزيٌّ كان يميّز البشر عن باقي الكائنات الحية، فتلك الألوان وتلك الأدوات والأسلحة البدائية، ما هي إلا رموزٌ لاعتقادٍ أو معتقدٍ بدائيٍّ لدى البشر عمّا بعد الموت ولا نستطيع إثبات ذلك.

في البدء كانت هناك الآلهة الأنثوية وفي السبعة آلاف سنةٍ قبل الميلاد ظهرت في الأناضول منصاتٌ للقرابين ذات طابعٍ دينيٍ تجرى أمامها مراسمُ وطقوسٌ دينيةٌ بدائيةٌ وعليها رسوماتٌ لرباتٍ يلدن ثيرانًا ثم انتشرت في منطقة المتوسط وفي الهند أيضًا حيث سادت عبادة الربة ــ الأم الكبرى culte de la Grande Déesse – Déesse-Mère التي تمنح الحياة

نافذة على الله
أو مفهوم الإله بين العلم والدين

د. جواد بشارة

ورمز الخصوبة في الطبيعة بجانب الثور رمز الذكورية، والملفت للنظر أن الثور كان دائمًا خاضعًا ومستسلمًا للربّة الأم الأنثوية فهو في وضعٍ أدنى، كما يظهر ذلك بوضوحٍ في الرسومات والتخطيطات التي عُثر عليها في التنقيبات الأثرية في منطقة الأناضول وفي بعض مناطق الهند.

لم يكن العبرانيون أول من اختلق فكرة التوحيد كما ورد في كتاب عالم اللغويات والأنثروبولوجيا المبشر الكاثوليكي فلهيلم شميدت Wilhelm Schmidt في كتابه «أصل فكرة الإله L'Origine de l'idée de Dieu» الصادر سنة 1912م، فإنسان ما قبل التاريخ عبد إلهًا واحدًا قريبًا منه داخل الطبيعة وأتخذ أشكالًا وهيئاتٍ مختلفةً، قبل أن يبتعد عنه ويغدو مفهومًا تجريديًا ليترك مكانه لآلهةٍ وآلهاتٍ متعددةٍ مذكّرةٍ ومؤنّثة، ومن ثم عاد من جديدٍ في النصوص العبرية أو اليهودية القديمة، ولقد سبق أن طُرحت هذه الفكرة، فكرة الانعزال والابتعاد عند إله وادي الرافدين ــ ميزوبوتاميا - وهو الإله «آنو Anu» وبسبب إحاطته بعددٍ كبيرٍ من الآلهة الثانوية المذكرة والمؤنثة حيث نساه البشر، وبعد ذلك جاءت تجربة التوحيد اليتيمة الوحيدة في عهد الفرعون توت عنخ أمون ولكن بعد موته عاد الناس للتعدد الإلهي بضغطٍ من رهبان الإله آمون Amon.

ويُعتقد أن هذه التجربة أثّرت في «موسى» حيث لجأ هو الآخر إلى الإله الواحد المتعالي الذي عبده أجداده من آدم ونوحٍ مرورًا بإبراهيم وإسحق- الذي أصبح اسمه إسرائيل- وإسماعيل ويعقوب والأسباط الاثني عشر الذين أوجدوا القبائل الاثني عشر اليهودية أو العبرية، وكان كتاب التوراة اليهودي هو أول من تحدّث بالنص عن الإله الواحد، وهو كتابٌ تمّ بتجميع خليطٍ من الأساطير والخرافات والسرديات التاريخية لأحداثٍ متخيلةٍ أو مستوحاةٍ من أساطيرَ وخرافاتٍ لحضاراتٍ قديمةٍ ونصوصٍ وحكمٍ وتنبؤاتٍ وقصائدَ وأدعيةٍ وصلواتٍ وترانيم، وتخبرنا الأبحاث التاريخية المعاصرة أنّ العهد القديم أو التوراة (La Bible hébraïque) دُوِّن في القرن السابع قبل الميلاد اعتمادًا على تراثٍ شفهيٍّ ما يجعل حقيقة أبطاله وشخصياته تاريخيًا مشكوكٌ فيها وهذا ينطبق على نوحٍ وإبراهيم (آبراهام) وموسى نفسه.

هناك إشارةٌ تاريخيةٌ لمملكة إسرائيل في عهد الفرعون مينبتاح Méneptah حوالي 1200 قبل الميلاد ورد فيها " أن إسرائيل مُحيت ودُمرت ولم يعد فيها بذرة (semence)، وهناك نصٌّ آراميٌّ في القرن التاسع قبل الميلاد ورد فيه ذكرٌ لـ" بيت داود يشهد بوجود مملكة داود حوالي القرن العاشر قبل الميلاد. وهي ليست مملكةً بالمعنى الحقيقي وإنّما شبه مدينةٍ أقرب للقرية منها لحاضرةٍ متطورةٍ ولا يوجد أثرٌ للمعبد الكبير الذي شيّده الملك سليمان Salamon إبن دافيد David ــ داود.

د. جواد بشارة

نافذة على الله
أو مفهوم الإله بين العلم والدين

أشاع اليهود أنّ التوراة هي كلام الله لكن المنتقدين والمعارضين لهذا الطرح رغم إيمانهم وتدينهم يقولون أنّ الله لم يكتبه أو يُمليه وإنّما هو نتيجةُ إيحاءٍ أو استلهامٍ ربانيٍّ جاء لأذهان الأنبياء القدماء وبالتالي يجب تفسيره وتأويله لأنّه ليس نصًا منزّلًا ومقدّسًا لأنّه ورد في الكثير من النصوص الموضوعة والمؤلَفة من قِبل البشر وهناك الكثير من التزوير والإضافات فيه. ثمّ جاء يسوع المسيح ــ عيسى بن مريم ــ كما يُسميه المسلمون وكان يهوديًا متدينًا في صِباه وشبابه ومتمسكًا بالتوراة قبل أن يَجهَر بنبوته ورسالته المُصحّحة والمُكمّلة للديانة اليهودية. ولقد جُمعت آثاره وأقواله وقصّته ومقتله في مجموع نصوصٍ سُميت بالأناجيل ــ الإنجيل يعني البشارة ــ وهي كثيرةٌ لم تحتفظ المؤسسة الدينية الكنسية منها سوى بأربعة، هي إنجيل مرقص Marc ومتى Mathieu ولوقا Luc ويوحنا Jean المكونِة لما يُعرف بالعهد الجديد المُكمّل للعهد القديم.

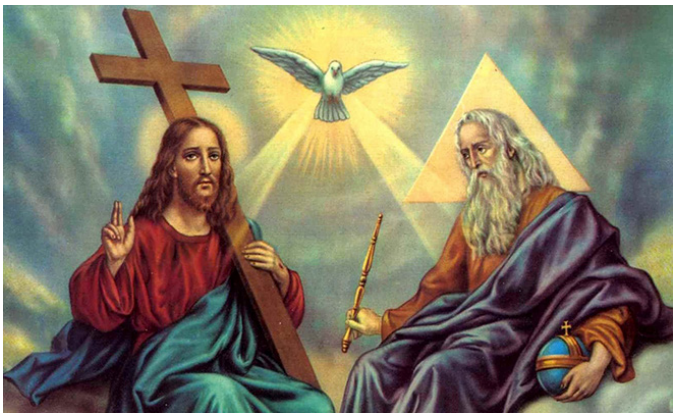

ولقد اعتبر عددٌ كبيرٌ من المسيحيين أنّ يسوع المسيح إلهٌ وهو ابن الربّ الخالق وقالوا بالأقانيم الثلاثة «الآب والابن والروح القدس»، وأنّ للمسيح طبيعتين، ناسوتيةٍ ولاهوتية، الأولى بشريةٌ والثانية ربانية، وألصقوا به الكثير من المعجزات وأضافوا عليه الكثير من المزايا الفريدة وعزوا إليه الكثير من الأعمال الخارقة للطبيعة كإحياء الموتى والسير على الماء وشفاء المرضى ووصفوه برب المحبّة والصفح والتسامح ... إلخ.

غالبًا ما يُقدَّم إله التوراة على أنّه كلّي القدرة وحاضرٌ أو متواجدٌ دومًا في كلّ مكانٍ وزمانٍ ويتدخل على نحوٍ مباشرٍ في شؤون البشر. وتُفسّر آياتُ التوراة ما يتعرض له اليهود من مصائب وكوارث بأنّه عقابٌ أرسله الله لهم أو سمح بحدوثه بسبب خطاياهم التي ارتكبوها بحقّه، فرديًا أو جماعيًا، ما يعني أنّ هناك تفسيرًا ثيولوجيًا للشر ومصدره هو الله الخالق للخير والشر معًا والمسيح المُنتظر هو المحرِّر الذي يمتلك قدراتٍ إلهيةً وينتظره الشعب اليهودي لكي يُحرره من الاحتلالات الأجنبية المتعاقبة عليه.

الإيمان بوجود إلهٍ خالقٍ متعالٍ، يتخذ أشكالًا متنوعةً، من الإيمان الفطري أو الاعتقاد الديني، مرورًا بالطرح الفلسفي والمنطقي، وانتهاءً بالفرضيات العلمية يطرح السؤال الأهم وهو: هل بالإمكان التوصل إلى وجود الله بالعقل وحده؟ شغلَ هذا السؤال تاريخ الفلسفة برمّته لغاية القرن التاسع عشر. منذ العصر الإغريقي الذي يؤشّر لبداية التفكير الفلسفي الغربي. كان المفكرون والفلاسفة الإغريق في غالبيتهم يعيشون في عالمٍ متديّنٍ تحفُّ به الخرافات والأساطير والمعتقدات المشركة وكانت جهود الفلاسفة التنويريين تصبّ في محاولات تجاوز تلك المعتقدات الخرافية والتمعّن بالمسألة من الناحية العقلية الصرفة.

نافذة على الله
أو مفهوم الإله بين العلم والدين

د. جواد بشارة

كان العديد من الفلاسفة القدماء يحترمون الآلهة، ولكن ما هو مفهومهم للإله؟ أول نقطةٍ مشتركةٍ بينهم هي دحض الصفة الأنثروبومورفية Anthropomorphique التجسيمية واللاأخلاقية لآلهة الأولمبياد Les Dieux de l'Olympe، لأنّ هذا التصور يجعل الآلهة يشبهون البشر كثيرًا مما يُفقدهم بعض المصداقية خاصةً وأنّهم يتصفون بالكثير من صفات وردود أفعال وسلوكيات البشر كالفسوق والعجرفة والتكبر وروحية الانتقام والخداع والمكر والتقلب والخداع ونقض العهود ... إلخ. أي على النقيض من الكمال، فهناك فلاسفةٌ رفضوا هذا النموذج التشبيهي والتجسيمي للإلهة الإغريقية أبيقور Epicure، وآخرون لا يعتقدون حتى بوجود الآلهة مهما كان كمالها، لكن ذلك لم يمنعهم بالاعتقاد بوجود حكمةٍ متعاليةٍ شموليةٍ إلهيةٍ تحكم العالم ومتجليةً من خلال سلوك بعض البشر المتميزين المصطفين.

فهناك تيارٌ فكريٌ وفلسفيٌ إغريقي ـ رومانيٌ وُلد في القرن الرابع قبل الميلاد يُعرف أتباعه بالمتحملون Stoïciens يعتقدون بوجود كينونةٍ ما بين العالم الدنيوي والعقل الإلهي وهي عقيدة الوجوديين الذين يعتقدون بوحدة الوجود Panthéistes ومِن أشهر من يتبنون ذلك فيلسوف النهضة باروخ سبينوزا (Baruch Spinoza) وقبلهم كان الفلاسفة المشهورون مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو قد أدلوا بدلوهم في مسألة الألوهية. وكذلك فلاسفة الأفلاطونية الجديدة Néoplatoniciens، وعلى رأسهم أفلوطين Plotin الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد وهذا الأخير أكد وجود ثلاثة مبادئ عليا، التي ينحدر منها العالم الحسي وهي: الواحد L'Un، الذكاء Le Noos، والروح أو النفسL'Ame، والواحد هو المبدأ العلي الأعلى وهو متسامٍ وغير قابلٍ للتعريف والتحديد وثابتٍ لا يتغير، لا يشيخ و لا يموت، خالدٌ وخيّرٌ إلى حدّ الكمال، ومكتفٍ بذاته.

والذكاء أو العقل الأول، ينبثق من الواحد المتسامي حيث تتجلى الحقيقة. والنفس أو الروح تنبثق من الوعي أو العقل الأول ككينونةٍ أو مبدأٍ للوحدة التي تُحرك العالم المحسوس، فهناك روح العالم الجمعية، وهناك روحٌ جزئيةٌ لكل كائنٍ حي، وهذا الطرح يتميز ويختلف عن الطرح التوحيدي الذي جاءت به الأديان التوحيدية الكلاسيكية الثلاثة. وهناك في ذلك الوقت فلاسفةٌ ملحدونٌ لا يعتقدون بوجود مبدأٍ أو كينونةٍ خالقةٍ ربانيةٍ أو إلهيةٍ عليا Athéistes أو لا أدريون Agnostiques، ويوجد فَرقٌ كبيرٌ بين إله الفلاسفة الإغريق وإله الأديان التوحيدية لأنّ هذا الأخير فيه الكثير من الصفات والمزايا البشرية كما نصّت على ذلك النصوص المقدّسة المنزّلة.

أمّا مسألة إثبات وجود الله فهناك عدة حججٍ وحالاتٍ أحدها يسمى بالدليل الأنطولوجي حيث يكون التفكير بالله باعتباره الكائن الأكثر كمالًا من أي كائنٍ آخر في الوجود وبما أنّه من الكمال بمكانٍ فهو إذن يوجد أكثر مما كونه لا يوجد وسيترتب على ذلك بالضرورة أنه موجود عقلًا إلاّ أنّ هذه الحُجة لا تنطلي على المفكرين والمثقفين، ما عدا ديكارت، ولا تُقنع أحدًا سوى المؤمنين الذي لا يحتاجون لحجّةٍ لإقناع أنفسهم. ولقد حاول عددٌ من الفلاسفة، وبأسلوب المنطق إثبات وجود الله ومن بينهم (لايبنز) الذي سعى لتقديم ما يسمى بالبرهان الكوسمولوجي والسبب الكافي الذي يقول: لا يوجد شيءٌ بدون سببٍ ولا علةٍ بدون معلول.

د. جواد بشارة

نافذة على الله
أو مفهوم الإله بين العلم والدين

من هنا لابد من وجود كائنٍ يسمى الله لضرورة وجوده. وهناك حجّةٌ ثالثةٌ قدّمها الميتافيزيقيون وتسمى البرهان الفيزيقي الثيولوجي Physicothéologique وينطلق من مراقبة ومشاهدة النظام المعقّد والذي يقود حتمًا إلى ضرورة وجود عقلٍ ذكيٍ خالقٍ ومنظّمٍ إذ لا يمكن لهذا النظام أن يكون ثمرة الصُدفة. لذلك لا بدّ من وجود عقلٍ علويٍ ذكيٍ يكون هو الأصل الموجد للكون، ولقد علّق الفيلسوف الفرنسي فولتير قائلًا: «الكون يحيرني ولا يمكنني أن أقبل بأنّ هذه الساعة الكونية موجودةٌ بدون ساعاتي صانعٍ لها».

وبعد ظهور نظرية الانفجار العظيم (البنغ بانغ) المبنية على نظرية النسبية العامة لآينشتاين انبرى عددٌ من المثقفين المتشبثين بالإيمان بوجود الله تحت يافطة «التصميم الذكي Design intelligent» ليجيزوا مقولة التنظيم الدقيق للكون وللقوانين الفيزيائية التي تنظّمه وتسيّره، إلى جانب ظهور الحياة الذكية العاقلة ونشوء جنس البشر وتطوره لا سيما العضو الأكثر تعقيدًا فيه ألا وهو الدماغ، وقالوا بأنّ ذلك يشهد على وجود تصميمٍ ذكيٍ ومصممٍ خارقٍ لهذا الكون، دون أن يغرقوا في وصفه على غرار الأديان السماوية التي قلّلت من قيمته دون أن تعي أو تقصد ذلك. وحاول هذا التيار الثقافي والفكري أن يمحو مُسَلّمة الصراع بين الدين والعلم بخصوص مسألة الإله الخالق للكون.

ولكن لا يوجد في الكون المرئي الجمال والهارمونية والتنظيم الدقيق فقط، بل تزخر الطبيعة بالفوضى والكوارث الطبيعية والمذابح وهيمنة الشر الذي لا يعرف أحدٌ مصدره سوى أنه خالق الكون نفسه إذا آمنا بأنّ للكون المرئي خالقًا، أي أنّ الله هو مصدر الشر وبهذا الصدد علّق الفيلسوف لايبنز في كتابه دراساتٌ وأبحاثٌ في الثيولوجيا الربانية Essais de théodicée وطرحَ تساؤله على نحوٍ مباشرٍ وصريحٍ قائلًا: «كيف نفهم، في حالة وجود الله، وإنّه إلهٌ طيبٌ وخيّرٌ، وجود هذا الكم الهائل من الشر والسوء والفظاعة والبؤس في الأرض؟» فيما يسخر فولتير من هذا الإله في رائعته كانديد1759 Candide من خلال شخصية البروفيسور بانغلوس وهو يردّد وسط الكوارث والمساوئ والشرور أنّ كلّ شيءٍ نحو الأحسن في أفضل العوالم الممكنة.

وفي التصوف العبري، الكابالا، هناك أطروحةٌ تقول أنّ الله بعد أن انتهى من خلق الكون تجرّد من إلوهيته وانسحب من العالم لكي يتيح المجال لشيءٍ آخر أن يحدث أو يوجد. فبعملية الخلق وافق الله ألاّ يكون هو كلّ شيءٍ واختزل كينونته حتى يتيح للعالم أن يفرض نفسه ويمكّن لشيءٍ آخر أن يتواجد غيره وبالتالي يوجد الشر بالضرورة في هذا العالم الذي يفتقد للكمال .

نافذة على الله
أو مفهوم الإله بين العلم والدين

فلاسفة عصر الأنوار انتقدوا الأديان بشدةٍ لكن جزءًا كبيرًا منهم لم يكن ملحدًا ولديه مفهومه الخاص عن الله، فأغلب الربوبيون Déistes على غرار الفلاسفة في العصور القديمة، يؤمنون بوجود «مبدأٍ عليّ» خارقٍ وخالقٍ ينظم الكون وليس إلهًا شخصيًا يهتم بشعبٍ معينٍ على حساب شعوبٍ أخرى ويُظهر نفسه لهم من خلال أنبياءٍ ونصوصٍ مقدّسةٍ يؤمنون بالإلوهية Théismes وهكذا تستمر دائرة الصراع بين العلم والدين حول موضوع إثبات وجود أو عدم وجود الله، ولقد عبّر غاليلو غاليله، ضَحية الكنيسة الكاثوليكية بسبب أفكاره وآرائه، عن ذلك، قائلًا: «إنّ العلم والدين يجيبان على سؤالين مطروحين في سياقٍ مختلفٍ ولا يُفترض أن يدخلا في معركةٍ أو صراعٍ بينهما، فالدين يُخبرنا كيف يمكننا أن نذهب إلى السماء في حين أنّ العلم يُخبرنا ما هي أحوال السماء».

أمّا في وسط الإلحاد والملحدين Athé-isme فكان أوّل مُلحدٍ علنيٍّ هو الراهب جون ميسليه Jean Meslier، وكان فولتير قد نشر وصيّته في سنة وفاته 1729م وهو نصٌّ معادٍ للدين بقوةٍ واحتدامٍ تحت عنوان مذكرات وأفكار ومشاعر جون ميسليه وهو عبارةٌ عن دراسةٍ فكريةٍ مُطعّمةٍ بالبراهين والحُجج المنطقية والعقلية التي تنفي وجود إلهٍ وألوهيةٍ تتحكّم بالعالم والواقع الوحيد الموجود هو الواقع المادي، فمسيليه كان ملحدًا وماديًا في نفس الوقت بعد أن كان رجل دينٍ متعمّقٍ بدينه.

حصيلة ذلك أنّنا مازلنا وسنظل نجهل حقيقة هذا اللغز وهذه الفرضية المسماة «الله» وهل هي ضروريةٌ لوجودنا أم لا؟ لأنّ الله رُغم جهوده في الاتصال بنا عبر أنبيائه ورسله ونصوصه، لم يكشف لنا عن حقيقته وطبيعته وماهيته وصفاته وقدراته إلّا من خلال نصوصٍ لا يمكن الجزم أنّها صادرةٌ عنه، بل ربّما وضَعَها مؤلِفون بشرٌ باسمه.

المزدري

الثمن الذي دفعته لتركي الإسلام

وليد الحسيني

الكتاب وثيقة مهمة يروي فيها وليد الحسيني قصة المعاناة التي مر بها من جراء تركه للإسلام وجهره بذلك، بدءًا من تساؤلاتٍ نمر بها كلنا إلى نقده الساخر للدين، فسجنه وتعرضه للتعذيب وانتهاءً بلجوئه إلى فرنسا حيث لا زال يعمل بدأبٍ في مشروعه الفكري.

ظهر كتابه «المزدري» بالفرنسية تحت عنوان Blasphémateur ومؤخرًا تمت ترجمته إلى الإنجليزية بعنوان Blasphemer، وهو مترجمٌ أيضًا إلى البولندية والدنماركية. النسخة الإنجليزية موجودةٌ على متجر أمازون

Amazon.com

مجلس المسلمين السابقين في بريطانيا

Council of Ex-Muslims of Britain

www.ex-muslim.org.uk

بتركنا الإسلام نكسر محرّماته، لكننا في ذات الوقت نعمل على تدعيم العقلانية والحقوق والقيم العالمية والعلمانية. وفي نشاطنا نطالب بما يلي:

بالحقوق العالمية والتساوي في المواطنة بين الجميع.

بالحرية في نقد الدين.

بالحرية الدينية والإلحاد.

فصل الدين عن الدولة والنظامين، القانوني والتعليمي

حظر الممارسات والعادات والقواعد الدينية التي تنتهك حقوق الناس وتضيق على حرّياتهم.

إزالة كل العادات الدينية التي تضطهد المرأة وتنتقص من حقوقها واستقلالها، وحظر فصل الجنسين.

حظر التدخل من قبل أية سلطة عائلية أو رسمية في الحياة الشخصية والعاطفية والجنسية للناس.

حماية الأطفال من التلاعب بهم والإساءة إليهم من قبل الدين والمؤسسات الدينية.

حظر الدعم الرسمي للدين سواء المادي أو المعنوي.

حظر جميع أنواع التخويف والتهديد الديني.

هل الله موجود؟

موضوعنا هو مسألة «وجود الله» ويمكن أن نعيد صياغة الجملة إلى: «الله موجود» وهو الطرح الديني أو الألوهي، ومفاده أن الديني يملك معرفةً بوجود الله كما يقول أن لديه أدلةً على هذا. وجهة نظري والحجة التي سأقدمها هي أن علينا أن نبدأ بالنظر لهذه الجملة بتعريف مفرداتها أو مفاهيمها ونحدد إن كان لها معنًى ونُقدّم معرفةً قبل النظر للأدلة. سأقسّم الجملة لشقين، الأول هو كلمة 'الله' واحتجّ بأن هذه الكلمة غير معرّفةٍ ولا معنًى لها، وفي الشق الثاني سأنظر لمفهوم الوجود ومعنى أن يكون الله موجود.

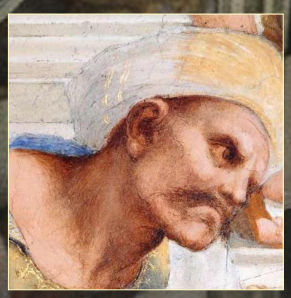

سقراط بن رشد

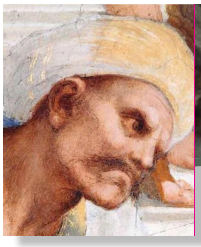

سقراط بن رشد

هل الله موجود؟

المعرفة الناتجة عن المفاهيم الدينية هي معرفةٌ لفظيةٌ تعتمد على التعريف المتداول في سياق الحديث، وهذا لا يقدّم لنا معنى هذه المفاهيم أو إذا كان لها معنًى أصلًا. اللغة الدينية تُقدّم صفات (أو سمات) لله بشكلٍ لفظيٍ بدون تعريفٍ لماهية الشيء الذي تُنسب له هذه الصفات. والحجة هي أنه لا يمكننا نسب صفاتٍ لشيءٍ لا نملك له تعريفًا ولذلك لا يمكننا ادّعاء معرفة هذا الشيء، وإذا لم يكن لنا تعريفٌ لماهية شيءٍ ما فهذا يعني أنه غير موجود، أو في أقل تقديرٍ شيءٌ لا معنى للحديث عنه ولا يمكن نسب أي صفاتٍ له.

يمكننا أن نضع الحجة بهذا الشكل:

1- هناك ثلاث سماتٍ للموجودات:

أ- سماتٌ أولية.

ب- سماتٌ ثانوية.

ج- سماتٌ علائقية.

2- السمات الثانوية والعلائقية تعتمد على ويجب ربطها بالسمات الأولية لأي كائنٍ حتى يكون لها معنًى.

3- كلمة أو مفهوم الله تفتقر لتعريفٍ إيجابيٍ للسمات الأولية.

4- لهذا مفهوم الله لا يقدّم تبريرًا للسمات الأولية والثانوية والعلائقية.

5- مفهومٌ بدون سماتٍ لا معنى له.

6- إذًا مفهوم أو كلمة الله لا معنى لها.

السمات الأولية هي الصفة الأساسية للشيء، أو المكون الأساسي للشيء. ماهية الشيء تحديدًا هي التي تسمح له بأفعالٍ أو تسمح له بالتأثير على ما حوله بشكلٍ ما. ونحتاج لتعريفٍ إيجابيٍ للسمة الأولية قبل أن نربط سماتٍ ثانويةً وعلائقيةً بشيءٍ أو موجود.

السمات الثانوية هي سلوكياتٌ أو قدراتٌ يمكن للشيء أن يملكها ويتّصف بها، مثل الرحمة والعلم والقدرة. **السمات العلائقية** هي قدرة الكائن على أن يشكّل علاقةً مع أشياء أخرى، يتفاعل معها ويؤثر عليها ويرتبط بها بشكلٍ ما. والسبب في اعتماد السمات الثانوية والعلائقية على وجود تعريفٍ إيجابيٍ للسمات الأولية هو عدم إمكانية تحديد علاقةٍ بين شيءٍ وخصائصه إذا كانت الهوية الميتافيزيائية لهذا الشيء غير معروفة.

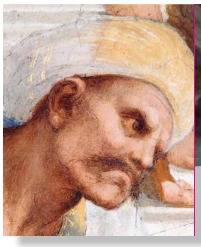

سقراط بن رشد

هل الله موجود؟

ويمكننا أن نوضح هذا بأمثلة الجمل التالية:

السيارة بيضاء - هذه جملةٌ ممكنةٌ لأننا نعرف طبيعة السيارة ومما تُصنع وأنها يمكن أن تتحلى باللون الأبيض. طبيعة السيارة الميتافيزيائية، أو سماتها الأولية، شيءٌ يمكنه أن يمتلك اللون الأبيض كسمةٍ ثانوية.

الصوت أبيض - هذه الجملة غير ممكنةٍ لأننا نعرف أن الصوت يصلنا على شكل أمواجٍ صوتيةٍ وهي لا تمتلك لونًا. نلاحظ هنا أن السمات الثانوية التي يمكن لشيءٍ أو مفهومٍ ما أن يمتلكها تعتمد على تحديد هذا الشيء. هنا خطأٌ في التصنيف لأننا نعرف طبيعة الصوت الأساسية وأنه شيءٌ لا يمكنه أن يمتلك لونًا كسمةٍ ثانوية.

الروح بيضاء - هذه الجملة بلا معنى لأن السمة الأولية لكلمة روحٍ غير محددةٍ وغير معروفة. كل ما يخبرنا به من يعتقد بوجود الروح هو أنها غير مادية، ولكن هذا تعريفٌ سلبيٌ ولا يُعرّفنا بماهية الروح. ولذلك لا يمكننا تشكيل رابطٍ بين طبيعة الروح الميتافيزيائية وأي سماتٍ ثانويةٍ نود أن نلحقها بها. إذا كانت السمة الأولية غير معروفةٍ لا يمكننا معرفة أي سماتٍ تنطبق عليها أو لا، لأننا لا نعرف ماهية هذا الشيء لنعرف الصفات التي يمكن أن يمتلكها. لذلك هذه الجملة بلا معنى.

ما يقدّمه لنا الدين بخصوص الله هو المثال الثالث، شيءٌ غير معرّف (أو حتى غير قابلٍ للتعريف) وعلينا القبول بصفات (سماتٍ ثانوية) منسوبةٍ له رغم عدم معرفتنا بماهية هذا الشيء أو حتى إذا كان وجوده ممكنًا ناهيك عن إمكانية نسب هذه الصفات له وتقديم أدلةٍ على وجوده بناءً على ذلك. شكلٌ آخر من التعريف يُقدّمه الدين وهو **التعريف السلبي**، وهذا لا يحل المشكلة لأنه يخبرنا ما ليس الله وليس ما هو الله. مثل أن نقول أن الله لاماديٌ أو غير محدود، وحتى صفاتٌ مثل مطلق الرحمة والقدرة هي تعريفٌ سلبيٌ لأنها مبنيةٌ بالإشارة إلى عكس ما نعرفه وهو المحدودية.

في أقل تقديرٍ هذا طرحٌ خاوٍ ولا معنى له، لكن الموضوع أبعد من ذلك لأن غياب التعريف الإيجابي لماهية الله سببه عدم وجوده سوى كفكرةٍ في عقول البشر. لتوضيح ذلك يمكننا النظر إلى كائناتٍ خرافيةٍ مثل الكِمِّير (أو الخَيْمَر وباليونانية Χίμαιρα, Chímaira) في الميثولوجيا الإغريقية، كائنٌ ينفث النار له جسد أسدٍ وعلى ظهره رأس ماعزٍ وذيله ينتهي برأس ثعبان. مع أن هذا الكائن خرافيٌ ولا وجود له إلا أنه بإمكاننا تقديم تعريفٍ له وصورةٍ مبنيةٍ على معرفتنا لكائناتٍ أخرى.

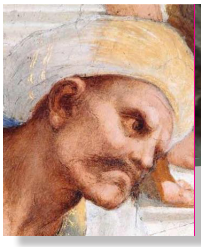

سقراط بن رشد

هل الله موجود؟

الطرح الديني يحاول أن يفعل نفس الشيء مع فكرة الله، ولكن المشكلة أن التصور الذي يقدّمه غير معقولٍ أو قابلٍ للفهم والتصور. إذا كان بإمكاننا أن نقدّم تصورٍ يمكن فهمه عقليًا لكائنٍ خرافيٍّ بينما كلمة «الله» لا نجد لها تعريفًا يمكن أن يُفهم عقليًا وهذا لأن الكلمة تشير إلى لاشيء.

ما معنى أن نقول أن الله موجود؟ ما نعرفه عن الوجود والأشياء الموجودة هو أنها ترتبط بالمكان والزمان والمادة. من يتحدث عن الله ويقول لنا أنه غير ماديٍّ وغير محدودٍ بالمكان والزمان أو خارج نطاقهما، يعيدنا لمشكلة التعريف السلبي ولا يخبرنا ما هو الله أو كيف هو موجود. بالإضافة إلى أن كائنًا غير ماديٍّ لا يمكن أن يُعرّف إيجابيًا. لا يمكن أن نفهم شيئًا غير ماديٍّ لأن مفهوم الوجود مرتبط بالمادة. ونفس الشيء مع خارج الزمان والمكان، أضف إلى ذلك أننا لا يمكن أن نلاحظه أو نقيسه. لو قلت لك أن هناك مثلثًا بأربعة أضلاعٍ خارج الزمان والمكان ولا يمكن ملاحظته، هل ستفهم أو ستعرف عنه شيئًا؟ مثل هذا الوصف يجعل من مفهوم الوجود خالي المعني. من يتحدث عن شيءٍ غير ماديٍّ وخارج الزمان والمكان لا يصف لنا نوعًا آخر من الوجود، بل ينفي الوجود.

المشكلة الأخرى مع فكرة وجود الله هي الصفات غير المحدودة أو المطلقة، فهو ليس موجودًا فقط، بل لا حدود لوجوده. مجدَدًا هذا تعريفٌ سلبي، لأن كل ما نعرفه لديه حدودٌ مما يعني أن معرفة الله حسب هذا التعريف غير ممكنة. وهذا بدون التطرق للتناقض المنطقي الذي ينتج عن اجتماع صفاتٍ مطلقةٍ مثل الرحمة والعلم والقدرة كما نرى في معضلة الشر.

سأتطرق إلى مسألة **واجب الوجود**، والمقصود هنا هو أن وجود الله هو جزءٌ من ماهيته أو جوهره، وهذا الافتراض مبنيٌ على فكرة أن الله كاملٌ ولا يتجزأ ووجوده جزءٌ من كماله ولا فرق بين جوهره ووجوده. هنا الجوهر هو ماهية الشيء والوجود ما يجعله حقيقي، فمثلًا يمكن أن نصف ماهية التنّين بدون أن نقصد أنه موجودٌ بينما الفَرس يمكننا أن نُضيف إلى ماهيته أنه موجود. إضافة الوجود لفكرتنا عن شيءٍ لا تضيف شيئًا لمفهومنا للفكرة، فلا يوجد انطباعٌ للوجود منفصلٌ عن انطباعنا عن الفكرة أو الشيء الذي نتحدث عنه. الوجود ليس خصلةً أو صفةً منفصلةً عن الأشياء، لذلك فوجوب الوجود، أو أنه لا فرق بين جوهر الله ووجوده، لا يقدّم مضمونًا يُفهم وله معنًى. فما يُقَّدم لنا هنا هو أن الفرق بين جوهر الشيء ووجوده هو ما يمكّننا من فهم الأشياء، بينما واجب الوجود تعني أنه لا يوجد فرقٌ بين جوهر الله ووجوده! فكيف نفهمه إذا؟

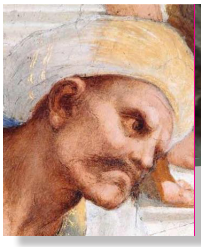

هل الله موجود؟

سقراط بن رشد

فكرة واجب الوجود مبنيةٌ على عدة مغالطاتٍ منها المرافعة الخاصة[1]، وأيضًا التعميم، حين تفترض أن أشياء محددةً في الكون لا تقوم بذاتها وتستنتج أن الكون كمجموع الأشياء أيضًا كذلك. بينما الكون ليس مجموع مكوناته، وما ينطبق على مكوناته لا ينطبق عليه ككل. في الواقع إذا كان هناك شيءٌ يمكن أن نسميه واجب الوجود فهي المادة، لأن المادة ضرورةٌ ميتافيزيائيةٌ ولا معنى للوجود بدونها.

عند الحديث عن «وجود الله» لا بد أن نسأل عن مصدر فكرة الله ولماذا تُطرح كفرضيةٍ لتفسير الكون. بلا شكٍ جذورها الميثولوجية والتاريخية ليست في صالحها لأنها نتيجة زمنٍ كان الإنسان يجهل فيه طبيعة الكون، ودوافعه البيولوجية، والبيئة كانت دافعًا له في البحث عن تفسيرٍ لظواهر الكون. ومع تشكّلِ الأديان أصبح للفكرة دواعم اجتماعيةٌ وترسختْ ثقافيًا. ولكنها فكرةٌ مصدرها جهل الإنسان قديمًا لطبيعة الكون قبل أن يطور إمكانياته المعرفية. للأسف لا زال الإنسان متمسكًا بالفكرة، بل حاول توظيف معرفته الفكرية لتقديم مبرراتٍ لها. وهذه المبررات والحجج، وما تُقدّمه على أنه أدلة، غالبًا ما تأخذ شكلًا من ثلاثة - **الكوزمولوجية cosmological** (السببية)، **التيليولوجية teleologial** (الغائية) و**الأُنطولوجية ontological** (الوجودية). ومشكلة هذه الحجج أنها، بلا استثناء، مبينةٌ على مغالطاتٍ منطقيةٍ ومنهجٍ يغالط نفسه.

هذه الحجج تحاول أن تبرهن على وجود كائنٍ خارقٍ للطبيعة بناءً على ظواهر هذه الطبيعة، مفترضةً أن هذه الظواهر لا يمكن أن تُفسّر من داخل الطبيعة. المؤمن بالدين يعتقد أن هذا الطرح يفسر الكون ويجعله مفهومًا على عكس موقف الملحد الذي يجعل من الكون شيئًا غير مفهوم. وفي الواقع فإن المؤمن بالدين هو من يجعل من الكون شيئًا غير مفهومٍ وغير قابلٍ للتفسير بهذا الطرح. التفسير يخلق رابطًا بين ما هو غير معروفٍ وما هو معروف، واضعًا ما نحتاج تفسيره في إطار معرفتنا لأننا لا نقدر أن نعرف شيئًا خارج إطار قدرتنا المعرفية. افتراض شيءٍ خارج الطبيعة هو تقديمٌ لما لا يمكن معرفته كتفسير، ولا يمكن أن نُفسّر غير المعروف بالإشارة إلى ما لا يمكن معرفته. القول بأن الله تسبّب في الكون هو القول بأن شيئًا لا يمكن معرفته تسبب في الكون بطريقةٍ غير معروفة. هذا ليس تفسيرًا، بل اعترافًا بعدم وجود تفسيرٍ أو حتى إمكانيةٍ للتفسير.

الطرح الديني يفترض وجود الله (بدون تعريف هذا المفهوم) ويقدّمه كتفسيرٍ للكون وظواهره ويستدل بها على وجوده مفترضًا أن الكون بحاجةٍ لتفسير. ولكن هو يهدم مشروعه بإلغاء الإطار الذي يمكننا أن نقدّم تفسيرًا وفهمًا من داخله، لأنه يقدّم تفسيرًا من خارج الطبيعة وهو شيءٌ لا يمكن معرفته أو فهمه. مشكلة منهج هذه الحجج أنها تستدل بما هو طبيعيٌ على ما هو غير طبيعي، بما هو معروفٌ على ما هو غير قابلٍ للمعرفة.

1- تقتضي مغالطة المرافعة الخاصة special pleading، أو الالتماس الخاص اختلاق استثناءٍ لقاعدةٍ ما دون تقديم تبرير لذلك الاستثناء. [تحرير المجلة]

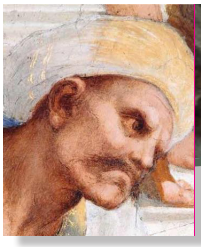

هل الله موجود؟

سقراط بن رشد

الجواب الذي يقتضي أقل عددٍ من الافتراضات هو الأصح في العادة.

بالمقابل موقف الملحد هو ما يجعل تفسير وفهم الكون وظواهره ممكنًا بوضع المفهومين داخل إطار الطبيعة. لا يوجد نزاعٌ بين الطبيعية واللاطبيعية، والسبب ليس فقط أن الطبيعية تقدّم التفسير الأبسط بمقتضى (مشرط أوكام) ولكن لأن الطبيعية هي الوحيدة التي تقدّم لنا إطارًا يعطي لمفهوم التفسير معنًى وإمكانيةً. لا معنى لأن نطالب بتفسير الطبيعة أو الكون لأن الطبيعة ميتافيزيائيًا ضرورية، ومحاولة تفسيرها تفترض منطقيًا وجودها. وهذه المطالبة ابستيميًا غير منطقيةٍ لأن الطبيعة والكون المعروف هو ما يقدّم لنا الإطار الذي نفسر ونفهم من داخله ولا يمكن أن نُخضعه لمفهوم التفسير. التفسير والفهم يكون لحقائق الواقع المعروفة من داخل إطار الطبيعة، وإذا أخرجنا مفهوم التفسير والفهم من هذا الإطار أصبح لا معنى لهما.

في مسألة «وجود الله»، الطرح الديني يتجاهل عدم وجود تعريفٍ -يُفهَم عقليا- لكلمة الله ومعنى أن يكون موجودًا، ويبدأ بافتراض أن الكون بحاجةٍ لتفسيرٍ والتفسير الوحيد هو من خارج الطبيعة. ثم يقدّم لنا الله كتفسيرٍ ويستدل بافتراضه لحاجة الكون لتفسيرٍ لوجود الله. الطبيعة لا تحتاج لنوع التفسير الذي يطالب به الديني لأنها هي ما يضع الإطار الذي يمكن من داخله تقديم نوع التفسير الذي يطالب به الديني. الطرح الديني يفشل في تقديم تفسيرٍ لأن منهجه يلغي معنى التفسير، ولأنه يبني هذا التفسير على مغالطاتٍ منطقيةٍ ليستدل بها على ويثبت وجود شيءٍ لا يملك له تعريفًا وباعترافه غير قابلٍ للمعرفة.

لا معنى لأن نبحث عن أدلةٍ ونتحدث عن شيءٍ لا نملك له تعريفًا، بل مَن يحدثنا عنه يخبرنا أنه غير قابلٍ للمعرفة! والفشل الذريع الذي ينتج عن محاولة إثبات «وجود الله» فلسفيًا وعلميًا قبل تقديم تعريفٍ واضحٍ لما نتحدث عنه، هذا المشروع يهدم نفسه بنفسه لأنه مبنيٌ على مفهومٍ خاوٍ من المعنى.

الاعتقاد بوجود الله مبنيٌ على الإيمان، وهو القبول بالغيبيات بدون دليل، وكل الحجج التي تُقدَّم على وجوده الهدف منها ليس إثبات وجود الله وإنما محاولةٌ للتقريب بين العقلانية والإيمان في مواجهة إنكار العقلانية لوجود الله. الطرح الديني قتل الله في محاولةٍ لإنقاذه. فخلاصة موقف الدينيين هي أن الله شيءٌ لا يمكن معرفته وهذا موقف الأغنوستي أو أن الله لا شيءٌ وهذا موقف الملحد. الله موجودٌ كفكرةٍ في عقول البشر فقط لا غير.

«أن نفسر ما هو غير معروفٍ بما هو معروفٌ عمليةٌ منطقية، أن نفسر ما هو معروفٌ بما لا يمكن معرفته ضربٌ من الجنون الثيولوجي»، ديفيد بروكس David M. Brooks، ضرورة الإلحاد The Necessity of Atheism.

متوفر على متجر أمازون

amazon.com

https://amzn.to/3Pqmver

رواية

بحر الضباب

عمر حسين

ذات يوم تساءلت عما إن كان من الممكن لعمل أدبي واحد أن يحوي بداخله العديد من الرسائل السامية، دون أن يؤثر ذلك سلباً على الحبكة الدرامية للرواية ولا أن يكون ذلك عائقاً أمام شاعرية الصياغة الأدبية والإيقاع الموسيقي بها ؟!

حدثني نفسي بأن هذا ممكنٌ.

فمضيت بشغف إلى قلمي مبحراً بالخيال أجوب بعصور تفصلنا عنها مئات السنين. وتراءت لي عن اليمين وعن اليسار ممالك وإمبراطوريات يحكمها من لا هم لهم إلا السعي وراء ما تصبو إليه نفوسهم دون اكتراث لتلك الأرواح التي سوف تزهق على إثر ذلك. ورأيت البحر يقذف صوب مراكبي بالخيال مؤامرات وحروب، وصراعات لن تنقضي إلا إذا حل السلام. تلك رسالتي الأولى .. ورسائل أخرى لن أطيل الوصف بالكتابة عنها، وكلي رجاء بأن تلامس قلوبكم روايتي الأولى:

بحر الضباب

عمر حسين

قدرة النهج العلمي على إنجاز أي شيء وكل شيء
الجزء الثاني

رامي رستم

النهج العلمي في الحكم / السياسة

لقد تغلغل النهج العلمي كذلك في المؤسسات الحكومية، ومن أهم الأمثلة الأساسية على ذلك مفهوم «سيادة القانون» Rule of law، وهو نقيض «سيادة الإنسان» Rule of man.

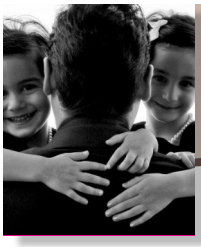

قدرة النهج العلمي على إنجاز أي شيء وكل شيء جـ2

رامي رستم

لقد كان للحكومات المبكرة مَلكٌ كان يتحكم بجميع مناحي حياة رعاياه على النحو الذي يرتئيه، دون وجود ضوابط على سلطته، فكان بمقدور الملك أن يفعل أي شيء، بل حتى أن يسنّ أي قانون، فيكتسب ذلك القانون شرعيةً لمجرد أن الملك هو من سنّه، ولم يكن القانون ينطبق على الملك، وإنما فقط على رعاياه، وهذا يُعدّ مثالًا متطرفًا على ما نسميه «سيادة الإنسان». ندرك اليوم أن هذا المثال المتطرف هو أمرٌ سيءٌ لأن الطريقة الجديدة صارت متجذرةً حتى العمق في ثقافتنا. وبحسب هذه الطريقة الجديدة، فإن القانون هو الذي يحكم، بدل من أن يكون الحاكم شخصًا، وهذا هو مصدر تعبير «سيادة القانون». في القرن الثالث عشر الميلادي، طالب الشعب الإنجليزي ملكهم أن يطبّق الماغنا كارتا Magna Carta، وهو عقدٌ بين الملك والشعب، يحمي حقوق الناس من عشوائية سلطة الملك، وبمقتضاه يفقد الملك عشوائية سلطته، ويصير الناس غير ملزمين باتّباع المراسيم التي يصدرها الملك. بدل ذلك، صار من المتوقع من الشعب الالتزام بالقوانين التي يتم تطويرها عبر عمليةٍ مصممةٍ لتوخي أقصى درجات الموضوعية التي نستطيع الوصول إليها. ولازالت هذه العملية طور التحسين، مما يعني أن قدرتها على الموضوعية تظل تخضع للتحسينات، وهذا أمرٌ يتبع نفس منطق النهج العلمي، ذلك أننا لا نبالي بمعتقدات أي عالمٍ بعينه بشأن الواقع المدروس، وبدلًا من ذلك، فإننا نحكم على نظريةٍ ما بالنظر إلى محتواها بصرف النظر عن هوية مخترعها أو غيره، وبغض النظر عن عدد من تنباها.

وبشكلٍ مشابهٍ لمفهوم «سيادة القانون» يظهر مفهومٌ لتداول الحكم بصورةٍ سلمية، ففي الماضي، كانت الطريقة المقبولة لتغيير الحاكم تتمثل بأن يأتي شخصٌ آخر قادرٌ ومستعدٌ لشن حربٍ على الحاكم الحالي، أما اليوم، فبتنا نرى في ذلك أمرًا فظيعًا، فكل دول العالم الأول قد رسخوا أساليب سلميةً لتداول الحكم، فالسلام هو من متطلبات ازدهار الناس من الناحية الاقتصادية وغيرها. وقد فسّر كارل پوپر[1] Karl Popper أنه بحسب طريقة التفكير القديمة، كان الناس يرون أن السؤال التالي هو الأشد أهميةً: «مَن الذي يفترض أن يحكم؟»، ولكن بحسب طريقة التفكير الجديدة، فإن السؤال الأهم يصير بالمقابل: «في حال كان الحاكم سيئًا، ما الإجراء الذي يُفترض اتّباعه لاستبداله؟»، والنقطة هنا هي أن طبيعة الإجراء المتبع تكتسب أهميةً أكبر من هوية هذا الحاكم أو ذاك في هذه المرحلة أو تلك. إن منطق القضية بسيط؛ إذ أن القدرة على إتقان تصحيح الأخطاء في أفكارنا أهم بكثيرٍ من أي أفكارٍ جيدةٍ ناجزة. فالتقدم أهم من الحالة الراهنة أيًا كانت، وهذا يعني أنه إن كان ثمة شخصٌ يتقدم عليك (كأن يكون في حالةٍ راهنةٍ أفضل من حالتك)، ولكنك تتقدم أسرع منه، فإنك ستتفوق عليه على المدى الطويل.

1- Karl Popper, In Search of a Better World: Lectures and Essays from Thirty Years, tr. L. Bennett, Routledge, London, 1994.

قدرة النهج العلمي على إنجاز أي شيء وكل شيء جـ2

وأفضل مثالٍ اليوم على «سيادة القانون» يأتي من الولايات المتحدة الأميركية، فمن الناحية الفكرية: نحن سليلو الشعب الإنجليزي، والدستور الأميركي هو نسخةٌ متطورةٌ من الماغنا كارتا. فهذه الوثائق تمثّل عهودًا بين الشعوب وممثلي حكوماتها، مما يوفّر للشعوب الحماية من عشوائية سلطة الأفراد في الحكم.

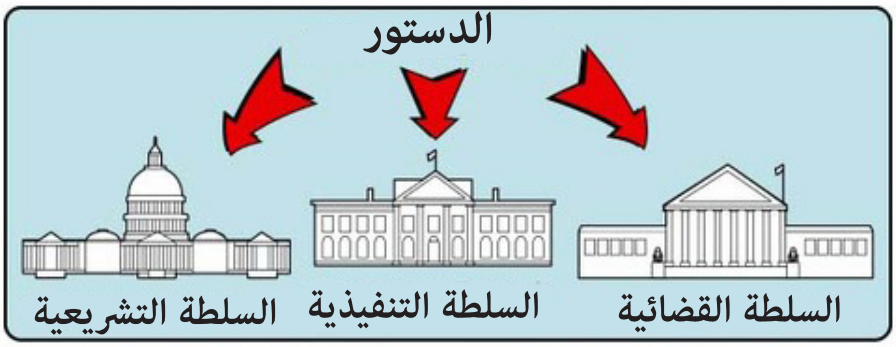

إن الدستور الأميركي يرسم خطوط ثلاث سلطاتٍ للحكومة، تم تصميم كلٍّ منها ليمتلك صلاحياتٍ لا توجد لدى السلطتين الأخريين، وكذلك تم تصميم كلٍّ منها لتكون ضابطًا لصلاحيات السلطات الأخرى، وهذا مصدر تعبير «فصل السلطات» Separation of powers، ولا زالت جذوة تطور هذه المنظومة في أوجها. وحاليًا توجد قضايا مرفوعةٌ في المحكمة العليا تنتظر البت فيها سيكون من شأنها تعزيز فصل السلطتين التشريعية والتنفيذية. وكما ينص الدستور الأميركي، فإن السلطة التشريعية تتكفل بسن القوانين، في حين تتكفل السلطة التنفيذية بإنفاذ تلك القوانين، ولكن السلطة التشريعية تتجاوز أحيانًا في صلاحياتها المنصوص عليها من خلال تفويض صلاحية سن القوانين للسلطة التنفيذية، مما يعني الالتفاف على الدستور الأميركي. إن محاولة السلطة القضائية لإصلاح هذا هي ما يُسمى عقيدة عدم التفويض Non-Delegation Doctrine، وهو مفهومٌ صُمّم لتحديد الخط الفاصل بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية. إحدى هذه القضايا التي تنتظر المحكمة العليا لتبتّ فيها هي قضية جمعية التدخين الإلكتروني الأميركية USVA ضد إدارة الغذاء والدواء الأميركية FDA. راجعوا رسالتي إلى الأميركيين[2] لمعرفة المزيد عن هذه القضية وأهميتها في نزاهة النظام القانوني الأميركي.

الرسالة موجودة على الفيسبوك وقت كتابة هذا المقال على الرابط التالي:
https://www.facebook.com/rami.rustom/posts/10221051812186122

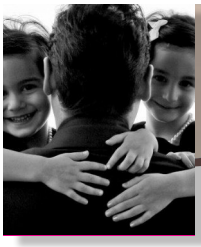

قدرة النهج العلمي على إنجاز أي شيء وكل شيء جـ2

رامي رستم

إن مفهوم «سيادة القانون» يتمحور حول مفهومٍ أكثر أساسيةً وهو مفهوم قابلية الخطأ Fallibility. وهي الفكرة القائلة أننا قد نكون مخطئين بصدد أي شيء، مما يعني أنه ما من شيءٍ يصل الكمال وأن هنالك دومًا مجالًا للتحسين. وهذا يعني استحالة وجود ضمانةٍ أن يكون المرء مصيبًا. ولهذا السبب نحتاج دومًا أن نكون متيقظين أثناء احتساب إمكانية الوقوع في الخطأ من خلال وضع إجراءاتٍ مصممةٍ للعثور على الأخطاء وتصحيحها. ولهذا السبب أيضًا نحتاج تحسين هذه الإجراءات على الدوام؛ فالإجراءات نفسها لا ترقى إلى الكمال، مما يعني وجود المجال لتحسينها هي أيضًا باستمرار. ومع تطور عالمنا، ستعترضنا دومًا أوضاعٌ جديدةٌ لم تأخذها قوانيننا القديمة بعين الاعتبار، وهو أمرٌ يعني أن المجال مفتوحٌ للتحسين بِغية تغيير قوانيننا لتتلاءم مع الأوضاع الجديدة.

إن مفهوم قابلية الخطأ متجذرةٌ أيضًا في سلطتنا القضائية، ومن أفضل أمثلة ذلك الطريقة التي نتعامل فيها مع قضايا القتل. فإن قامت هيئة محلفين معينةٌ بتجريم أحدهم بتهمة القتل، فإن من الممكن استئناف ذلك الحكم، فوجود هذه السياسة هو اعترافٌ صريحٌ بأن أيّ هيئة محلفين قد تكون مخطئةً، وأن حكمهم قابلٌ للخطأ، كحالنا كلنا. نحن نثق بتلك العملية، وبذلك النظام، بحيث إن تصرفتْ هيئة محلفين بانحياز، أو توصلتْ لاستنتاجٍ خاطئٍ فإنّ هيئة محلفين أخرى ستتوصل إلى الصواب.

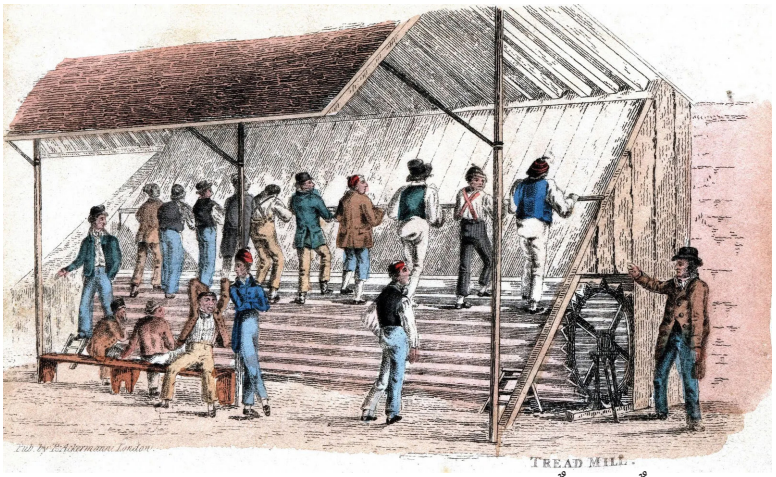

عقوبةٌ انتقاميةٌ كانت تعطى لبعض السجناء في سجن بريكستون في لندن من عام 1827

ولكن حتى يكون الأمر واضحًا، فإن مفهوم العدل أقدم من وجود الحكومات، إذ كانت لدينا فكرة «العين بالعين»، والتي تعني الانتقام، قبل أن توجد أي حكومةٍ على وجه الأرض. ويدرك الكثير من الناس اليوم أن مفهوم العدل لا يمكن أن يقتضي الانتقام، ولكن عديدين لا يدركون ذلك، فتكشفهم أفكارهم وأفعالهم، إذ ثمة عديدون يريدون أن يروا القتلة يتعرضون للاغتصاب في السجن، فهم يريدون الانتقام، يريدون إيقاع العقوبة. ما السبب وراء استمرار تناسخ هذه الأفكار من شخصٍ لآخر؟ إن الأمر يعود لأساليب التنشئة. هل لاحظتم يومًا الوضع التالي؟ طفلٌ يضرب دون قصدٍ صديقه، فيبكي هذا الآخر، فيقول الأول: «اضربني حتى تستدّ مني». هذا هو مبدأ الانتقام، لاحظوا انعدام الحديث عن طبيعة الخطأ، هذا إن كان ثمة خطأٌ أصلًا، أو الحديث عن كيفية التصرف بشكلٍ أفضل في المرة القادمة. أيًا كان المصدر الذي استقى منه هؤلاء الأطفال ذلك، فإن أهاليهم كما يبدو لا يفهمون أن الانتقام والعقوبة خطأ، وهم لا يعرفون الأسلوب الأفضل.

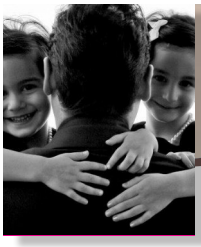

رامي رستم

قدرة النهج العلمي على إنجاز أي شيء وكل شيء جـ2

النهج العلمي في المنظمات غير الربحية / العمل الخيري

إن الأفكار التي تنجح في إدارة الأعمال تنجح أيضًا في المنظمات غير الربحية Non-profit organizations. إن التفاؤل، وقابلية الخطأ، ووضع نماذج دقيقةٍ لمشروعٍ ما، هي كلها أمورٌ تحتاجها أيضًا المنظمات غير الربحية. فنفس منطق الأنظمة التي تعتمد على بعضها ينجح بنفس الفعالية في كلٍّ من المنظمات الربحية وغير الربحية. إن نظرية القيود Theory of Constraint لإيلي غولدرات Eli Goldratt تُفسر كيفية تحسين إنتاجية المنظمة، بغض النظر عن طبيعة هذه الإنتاجية، فبالنسبة للشركات، تكون الإنتاجية المقصودة هي الربح، أما في حالة المنظمات غير الربحية، فالإنتاجية تكون شيئًا غير الربح، كأعداد الأشخاص المشردين الذين يتم إطعامهم وإيواءهم مثلًا.

إن أحد عناصر النهج العلمي يتمثل في تضمين أفضل الأفكار والأدوات من كل المجالات في المجال الذي يعمل المرء فيه، ولكن هذا الأمر قلما يحدث في عالم المنظمات غير الربحية.

كمثال، انظروا إلى مسألة توزيع الطعام والاحتياجات الأخرى على المشردين. إن المساعدة التي يتلقاها المشردون من المتطوعين تتسم بعدم التنظيم مما يجعلها غير فعالةٍ جدًا. إن المتطوعين الذين يساعدون المشردين بشكلٍ مباشرٍ يحتاجون المساعدة من آخرين لديهم المال والطعام ليتبرعوا به، لكن الجانب العملي التنظيمي منعدمٌ تمامًا. مما يخلق وضعًا قد لا تتوفر فيه الأشياء المطلوبة في الأماكن المناسبة والأوقات المناسبة، وفي أحيانٍ أخرى تتوافر فيه الأشياء القابلة للتلف بكميةٍ كبيرةٍ لدرجةٍ تذهب معها سدًى فتبقى دون استعمال، وقد تشغل حيزًا له حاجةٌ ماسةٌ لأشياءٍ أخرى مطلوبة. إن التوزيع المصمم بانسيابيةٍ قد يحلّ هذه المشكلة، ولكن هذا الأمر لا يحدث إلا في عالم الشركات، وهذه مشكلةٌ تتعلق بالحجم، وستزيد المنظمات غير الربحية من فعاليتها إن تبنت الأفكار التي تستخدمها الشركات لحل مشاكلها.

وكما شرح لي صديقي غاڤن پالمر Gavin Palmer، فإن إحدى طرق تحسين الجوانب العملية لتوزيع جهود العمل الخيري حول العالم تتمثل في أن تُوفر شركةٌ مثل أمازون Amazon تقنيتها في التوزيع، أو بالأحرى تُقدم نسخةً منها للقطاع غير الربحي، وهذا يتطلب ممثلين عن القطاع غير الربحي أن يعملوا بالتعاون مع أمازون لإنجاح الأمر، ولكن ذلك ستكون فيه فائدةٌ عظيمةٌ للقطاع غير الربحي في مقابل تكلفةٍ صغيرةٍ نسبيةٍ تتحملها أمازون.

هذا المقال هو ترجمةٌ عن مدونة رامي رستم المكتوبة بالإنجليزية، وهو موجود لحظة هذه الكتابة على العنوان التالي:
https://ramirustom.blogspot.com/2022/04/the-scientific-approach-to-anything-and.html
قام بالترجمة: أسامة البني (الورّاق). يمكن التواصل مع الكاتب ومناقشته بالكتابة على موقع ريديت Reddit.com بالذهاب إلى r/TheoryOfConstraints وعمل تاغ للكاتب (رابط)، وإن لم يكن تعليقكم متعلقًا بالأعمال والمنظمات تستطيعون التعليق على subreddit الخاص بالكاتب ورابطه r/LoveAndReason والرجاء عمل تاغ للكاتب.

اشترك الآن

YouTube

في قناتنا على اليوتيوب

https://www.youtube.com/c/ahmedzayedchannel

قرابة 26 مليون مشاهدة و132 ألف مشترك

أحمد سعد زايد

قناة أحمد سعد زايد على اليوتيوب هي قناة معنية بالتنوير الفكري والثقافي وهي محاولة للتفكير الموضوعي العقلاني معًا.

وتجدون فيها العديد من السلاسل ومنها:

- ألف باء فلسفة لتبسيط المعرفة الفلسفية
- تاريخ الحضارة العربية الاسلامية
- سلسلة تعريفية برموز فكرية عربية وغربية كالمعري والرازي وأرسطو وماركس وراسل
- سلسلة بتحليل خلافات الصحابة وقتالهم
- سلسة تطور تاريخ الإيديولوجيات السياسية والفلسفات

وغير ذلك كثير من محاضرات ومقابلات لرموز فكرية فالقناة بها أكثر من 700 محاضرة، وهي جهد طويل ومتواضع من العمل الثقافي ومحاولة نشر الوعي والعقلانية والعلمية قدر المستطاع للمتحدثين بالعربية.

للتواصل معنا على صفحة القناة على الفيسبوك:
https://www.facebook.com/aszayedtv

صفحة أحمد سعد زايد الشخصية:
https://www.facebook.com/ahmedsaadzayed

لدعم القناة: https://www.patreon.com/ahmedzayed

PayPal https://www.paypal.me/ahmedsaadzayed/100

دحض أسطورة الإعجاز والتميز المزعوم في اللغة العربية

نقدٌ أدبي - الجزء الأول

الدعوى:

هناك ادعاءٌ منتشرٌ بين الناس مفاده أن اللغة العربية معجزة السبك والصياغة، بحيث تتميز عن جميع اللغات بجمالها وتنوع مفرداتها واتساع ألفاظها وعمق تعبيراتها وبلاغتها وجزالتها اللفظية، وأنها لغة أهل الجنة واللغة التي تكلم بها خالق الكون الذي يسمونه (الله)... إلخ إلخ... ثم يأتي بعض الكهنة المحمديين ممن يسمون أنفسهم بـ(الباحثين) ليقوموا بتلفيق أوهامٍ مليئةٍ بالتناقضات والمغالطات المنطقية لدعم هذه الدعاوى.

راوند دلعو

دحض أسطورة الإعجاز والتميز المزعوم في اللغة العربية

راوند دلعو

رَدّي على هذه الدعوى وما تفرع عنها من أوهامٍ ومغالطاتٍ، كالتالي:

الفصل الأول: إثبات التكافؤيّة بين جميع اللغات يقينًا

لقد قام أسلاف جميع البشر الهوموسابيان بتطوير أصواتٍ بحيث تعبر عن جميع الأفعال والتصرفات والظروف والوقائع التي تمر بالإنسان العاقل، وسمّوا ذلك بالـ(لغة). ما ذكرته للتو حقيقةٌ مسلمٌ بها في علم السلوك التطوري لا نقاش فيها، وتنطبق على كل اللغات التي توارثتها جموع البشر عن أسلافهم. والعربية لغةٌ من اللغات التي تم توارثها من جيلٍ إلى جيل، فلا يستطيع أي شخصٍ أن يدّعي بأن شخصًا واحدًا جاء بالعربية من السماء _... بل المنطق أولًا ثم كل المصادر العربية ثانيًا، تؤكد أن أسلاف العرب طوروا العربية يقينًا ولم يأت بها شخص واحد، لا محمد ولا غيره من عند إله ما... فهي لم تنبثق فجأةً... بل يجمع العرب على وجودها في غرب جزيرة العرب وعلى وجود شعرائها ومعلقاتها قبل زمن محمد.

وبهذا نجد أن جميع اللغات البشرية (والعربية منها) نشأت بنفس الطريقة التطورية المتوارثة جيلٍ عن جيلٍ... والتطورية تعني أن مراحل التنشئة والنحت والتطوير واحدةٌ في كل اللغات، وبالتالي قوة التعبيريّة والإفصاحيّة في كل لغةٍ مكافئةٍ لجميع اللغات الأخرى. فلا توجد لغةٌ أقل تعبيرًا من لغةٍ أخرى ولا توجد لغةٌ أكثر أو أعمق تعبيرًا من لغةٍ أخرى، كما لا توجد لغةٌ تعجز عن التعبير عن معنًى معين. هذه ادعاءاتٌ تدحضها الأدلة الملموسة من علم السلوك التطوري.

فلتذهب إن شئت إلى غابات الأمازون أو مجاهيل إفريقيا وستجد أن البشر هناك يتخاطبون ويعبِّرون عن كل مكنوناتهم ومشاعرهم، بل وينسجون الأساطير ويخترعون العبادات والطقوس والخرافات بلغاتهم المحلية. يُعبِّرون بهذه اللغات عن جميع أدواتهم وأفعالهم وأحلامهم. عن مستقبلهم.. عن ماضِيِّهم.. عن أحداثهم اليومية... ينسقون فيما بينهم، يتوازعون المهام، يتناقلون كل أنواع الأخبار... إلخ. ثم إنَّ تكافؤ التعبيرية يستلزم تكافؤ الجوهر اللغوي عند كل عرق. فلا ميزة للغةٍ على لغةٍ أخرى.

راوند دلعو

دحض أسطورة الإعجاز والتميز المزعوم في اللغة العربية

قابلية الترجمة تدل على التكافؤ

وبالاطلاع على ما يقوم به أخصائيو الترجمة حديثًا، نعاين بوضوحٍ تامٍ ونتأكد يقينًا من قدرتنا على ترجمة جميع النصوص والعبارات {المفهومة} التي تم تأليفها بأي لغةٍ كانت إلى أي لغةٍ أخرى. وهذا دليلٌ يقينيٌ على تكافؤ جميع اللغات من حيث القدرة على التعبير وإيصال المعلومة، وهو الهدف الذي من أجله طوّر أسلافنا اللغات. وأنا أطلب من أي كاهنٍ محمديٍ أو أديبٍ أو شاعرٍ أن يأتي بجملةٍ عربيةٍ (مفهومةٍ) بحيث تحمل معنًى غير قابلٍ للترجمة إلى جميع لغات العالم الأخرى.

ولا تدخل الطلاسم غير المفهومة في هذا التحدي فهي عبثٌ ساذجٌ لا قيمة له، فضلًا عن أنها دليلٌ واضحٌ على عدم جدية أي نصٍ يحوي طلاسم غير مفهومةٍ وعدم ارتقائه إلى دعوى الإعجاز. باختصار، لن تجد أي نصٍ مفهومٍ يستعصي على الترجمة إلى كل لغات العالم، فاللغات كلها سواسيةٌ والعربية لغةٌ من اللغات تتكافأ بشكلٍ كاملٍ مع كل اللغات ولا يميزها أي شيء.

الفرق الوحيد بين اللغات هو أن هناك لغاتٍ أكثر انتشارًا من لغاتٍ أخرى. والسبب هو أن أسلاف المتحدثين باللغات واسعة الانتشار إنما سيطروا على مساحاتٍ واسعةٍ من الأرض في القرون الوسطى ففرض المحتل على الشعوب المنكوبة بالاحتلال التكلم بلغته، فأصبحت لغة المحتلّ أكثر انتشارًا من اللغات الأخرى؛ كالإنكليزية والإسبانية والعربية.

وهذا لا يستلزم الأفضلية، بل يدل على احتلال أجداد هؤلاء الأقوام لمساحاتٍ شاسعةٍ من الكوكب. فالإسبانية مثلًا لم تنتشر في أميركا الجنوبية والوسطى لأنها أفضل من غيرها، بل لأن الإسبان احتلوا تلك البلاد لفتراتٍ طويلةٍ فرضوا خلالها لغتهم على تلك الشعوب المغلوب على أمرها. وكذلك انتشار العربية في الشرق الأوسط، ليس لأفضليتها على السريانية والقبطية والأمازيغية والكوردية، بل لأن العرب جثموا على صدور هذه الشعوب لأكثر من ألف سنة، يحرّمون تداول أي لغةٍ أخرى غير العربية، يمارسون سياسة التعريب بكل جرأةٍ ووقاحةٍ، آخذين الضوء الأخضر من الديانة المحمدية التي شرعنت اغتصاباتهم لألسنة الشعوب وثقافاتهم عندما نصّت على وجوب كون الأئمة الحكام من قبيلة قريش (الناطقة بالعربية)، وكون الصلاة بالعربية حصرًا... وأن الله يتكلم العربية فيجب على الجميع التخلي عن لغاتهم لصالح العربية! فعمّت العربية وطغت ثم تجبّرت.

راوند دلعو

دحض أسطورة الإعجاز والتميز المزعوم في اللغة العربية

التطور يسقط لاهوتية المصدر عن اللغة

التطور سمةٌ مشتركةٌ بين جميع لغات العالم كما أسلفت، إذ تتطور اللغة بمرور الزمن وازدياد تجارب الناطقين بها. فمع ازدياد التجارب يتم اختراع أصواتٍ جديدةٍ للتعبير عن المفاهيم والتجارب الجديدة. ولو افترضنا وجود لغةٍ قاصرةٍ من الناحية التعبيرية في موضوعٍ ما، فهذا لا يعني أن اللغة بحد ذاتها قاصرةٌ أو عاجزة، بل يعني أن أصحاب هذه اللغة لم يمروا بظروفٍ تفرض عليهم صياغة واختراع التعابير المفقودة في هذا الموضوع بالذات، لكن باستطاعتهم صياغة واختراع هذه التعابير فور خضوعهم لهذا النوع من الظروف التي لم يمروا بها مسبقًا.

مثالٌ توضيحي:

فلو افترضنا وجود قومٍ عاشوا لملايين السنين في منطقةٍ داخليةٍ معزولةٍ عن البحار، ثم لم يعرفوا عن جوهر البحر شيئًا، لسقط أي تصور لمفهوم البحر من وعيهم الجمعي وبالتالي لن نجد في قاموس هؤلاء أي كلمةٍ أو تعبيرٍ يتعلق بالبحر وصفاته؛ فهل هذا دليلٌ على عجز لغتهم؟ طبعًا لا، بل دليلٌ على أنهم لم يمروا بتجربة التماس مع مفهوم البحر وطبيعته، وبالتالي لم يطوروا المصطلحات والعبارات اللازمة للتعبير عن البحر.

وهنا أستنتج أن اتهام العرب لأي لغةٍ أخرى غير العربية بالعجز أو ضعف البيان، أو الدونيّة لا وجه له... وهذا ناتجٌ عن جهل أصحاب هذا الاتهام بطريقة تكون اللغة تطوريًا تراكميًا، فمن بساطة العرب وسطحية تفكيرهم أنهم حكموا على اللغات الأخرى بالدونية لأنها لم تعالج مواضيع الوعي العربي، فحكموا على لغات الأقوام الأخرى من منظور وعيهم العربي. وهنا أسأل أصحاب هذا النوع من التنظير السطحي السؤال التالي: كيف للأوروبي أن يصف الناقة وصف امرئ القيس؟ إذ لا ناقة في أوروبا ولا جمل! ولو اعتبر العرب هذا عجزًا لغويًا لجئت لهم بمثالٍ مشابهٍ يثبت عجز لغتهم العربية.

أمثلة عن فقر العربية بالمصطلحات:

لم يكن في اللغة العربية مثلًا اسمٌ لكتل الجليد الضخمة الموجودة في القطبين الشمالي والجنوبي، إذ لم يسمع عنها العرب في القرن السادس الميلادي، ثم سماها العرب عندما دخلت إلى وعيهم الجمعي تجاوزًا بـ(جبال الجليد)، وهذا تعبيرٌ مركبٌ كمحاولةٍ للتعبير عن شيءٍ غير مدعومٍ لغويًا في الذاكرة العربية. فلا توجد كلمةٌ واحدةٌ تعبر عن هذا الشيء، وهذا فقرٌ مصطلحي. في حين تضمنت لغات أهل الشمال على مصطلحاتٍ تعبر بدقةٍ عن هذه الظاهرة كلفظ seahill ولفظ Ice Island. وكذلك حيوانات الكنغر والكوالا، لا أسماء لها في اللغة العربية ولا صفات لكثيرٍ من أفعالها المميزة، وذلك لعدم معرفة العرب لهذه الحيوانات، فتم نحت هذه المصطلحات حديثًا.

دحض أسطورة الإعجاز والتميز المزعوم في اللغة العربية

راوند دلعو

فإن قصّرت اللغات الأخرى في التعبير عن بعض المعاني التي جالت في وعي العرب الجمعي أو ما انبثق عنه من مفاهيم عن بيئة الصحراء والخيمة والترحال والصلاة والحج والصوم، فهذا لأن الأمم الأخرى تعيش في بيئاتٍ أخرى ذات ظروفٍ أخرى لا خيم فيها ولا إبل ولا تعدد زوجاتٍ، وليس لأن العربية مقدسةٌ أو معجزةٌ أو منسوبةٌ للإله!

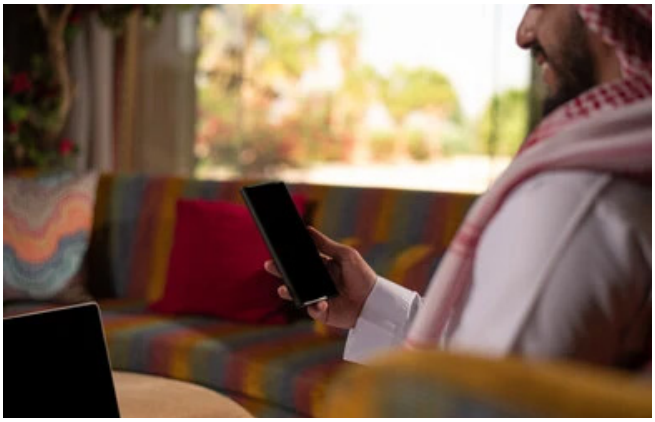

ومن علامات حاجة اللغة العربية إلى التطور، خلوها من المصطلحات اللازمة للدلالة على معظم الاختراعات والاكتشافات الحديثة واستراتيجيات التواصل الحديث، فالعربية فقيرةٌ جدًا في هذا المضمار، فيلاحظ المتخصص مثلًا في علوم التواصل والحوسبة الحديثة (وأنا منهم بحكم كوني مهندس اتصالاتٍ) أن جميع المصطلحات في هذا المجال معربةٌ أو منحوتةٌ في القرن العشرين والواحد والعشرين الميلاديَّيْن.

وهكذا استنتجنا بشكلٍ يقينيٍ أن اللغة العربية كغيرها من اللغات تتطور وتتبدل بحسب الظروف والاكتشافات واختلاف الأعراف والطبائع والظروف، فأين الإعجاز المزعوم لهذه اللغة؟ وأين ما يثبت أنها لغة الخالق؟

التطور يتعارض مع لاهوتية المصدر

كما أن الإعجاز واللاهوتية مفاهيم تستلزم إطلاق الكمال وعدم الحاجة للتطور، وسوف لن تجد لغةً كاملةً كمالًا مطلقًا ابتداءً، لأن اللغة لا تنطق بها الآلهة المزعومة، ولا تنزل مع النيازك من السماء، بل يطورها البشر من خلال تواصلهم على الأرض. والتطور يعني إكمال النقص، والناقص غير معجزٍ بالضرورة، فانتفى الإعجاز عن جميع اللغات بالدليل العقلي الذي يرقى إلى درجة القطع واليقين..

تطور الفصحى من المقعرة إلى فصحى الحداثة

ولو سلطنا الضوء على اللغة العربية بلهجتها القرشية المنتشرة في عصر تأليف القرآن لوجدنا أن تلك اللهجة المقعرة مجرد نوعٍ من أنواع العربية المسماة بالفصحى، إذ حتى فصحى اليوم تختلف عن الفصحى القرشية المقعرة (فصحى القرآن وجيل القرن السابع الميلادي)... ولو جاء أحد أعراب القرن السابع الميلادي وقرأ ديوانًا شعريًا لراوند دلعو أو نزار قباني أو روايةً لنجيب محفوظ لوجد صعوبةً في الفهم، واستهجن المصطلحات والتراكيب وكثيرًا من السبك.

فلا أحد يقول اليوم: عِمت صباحًا،

بل يقولون: صباح الخير.

لا أحد يقول: أنت خرّاص،

بل، أنت كذّاب!

دحض أسطورة الإعجاز والتميز المزعوم في اللغة العربية

راوند دلعو

وهكذا نجد أن العربية تتطور، وتطور اللغة دليلٌ قاطعٌ على نقصانها، فهي تحاول التوافق مع ظروف المجتمع الجديدة من خلال التطور. وأحب أن أشير هنا إلى أن اللغة لا تكتمل أبدًا، بل تستمر بالتطور لأن أعراف وطبائع وسلوكيات المجتمعات تستمر بالتغير، فالمصطلحات والتراكيب الجديدة دائمة الولادة لأن التصرفات والأعراف والعقود الجديدة دائمة الولادة. وهذا يدل يقينًا على عدم صحة وصف اللغة بالكمال المطلق أو الإعجاز. وهنا تسقط دعوى الكهنة من أتباع محمد، فهم يريدون للغة أن تقف عند مشهدٍ واحدٍ فقط وهو عصر تأليف القرآن ولهجة قريش، وهذا عبثٌ، لأن التثبيت على لغةٍ معينةٍ في زمنٍ معينٍ يستلزم تثبيت الظروف والأنماط والأعراف الحياتية عند ذلك المشهد البدائي حصرًا... فلنعد إذن إلى الخيمة والجمل والسبايا والذبح والأضاحي والتطير والوقوف على الأطلال وأسواق النخاسة والرقية و و و...

وهذه أمورٌ انقرضت وشبعت انقراضًا، فلا بد لمنطوقها اللغوي أن ينقرض معها. لذلك نجد أن معظم مصطلحات القرآن لم تعد مستخدمةً حتى عند الأدباء العرب اليوم.

إسقاط ميزة الفصاحة والجزالة اللفظية

هناك مغالطةٌ منتشرةٌ أيضًا وهي أن الفصاحة شيءٌ مميزٌ متفوقٌ على طرائق التعبير الأخرى، فيقال: فلانٌ فصيحٌ جزل الكلام، في إشارةٍ إلى تفوقه اللغوي!

هذا خطأ، إذ لا إبداع ولا بطولة بالفصاحة، فالفصاحة عند العرب هي التعبير عن المراد بأسلوبٍ لغويٍ قُرَشِيٍّ واضحٍ خالٍ من الأخطاء القواعدية. ولا ميزة لذلك على الإطلاق برأيي، فالتعبير الواضح قد يكون بالعربية القرشيّة أو العربية الحديثة أو اللغة السورية أو اللغة الإنكليزية أو أي لغة... فالفصاحة ليست شيئًا خاصًا بلهجة قريش وإنما صفةٌ لتدبيج الكلام بشكلٍ واضحٍ، ففصيحٌ من الإفصاح، أي التعبير بوضوح.

أما الحديث بلا أخطاءٍ قواعديةٍ فليست ميزةً أيضًا، إذ لا أحد يلحن بلغته الأم، فمن السذاجة اعتبار الحديث بلا أخطاءٍ فضيلةً أو مهارة، فالسوري الدمشقي مثلًا يقول: (لح أوم إتعشى)... ومن المستحيل أن يقول (لحو أوما إتعشى _ أو ليح أومو إتعشى). من المستحيل للدمشقي أن يخطئ قواعديًا أثناء الحديث بلغته الأم. وكذلك المصري عندما يتحدث بلغته المصرية لن يخطئ، وكذلك التونسي والموريتاني والسوداني... إلخ.

دحض أسطورة الإعجاز والتميز المزعوم في اللغة العربية

راوند دلعو

وكل إنسانٍ طبيعيٍ سليم الدماغ يتحدث بلغته الأم لن يخطئ قطعًا، لأنها ببساطةٍ لغته الأم ويتحدثها سليقةً، وإن عجز عن التحدث بها بشكل سليمٍ فلوجود خللٍ في دماغه، كأن يكون من ذوي الاحتياجات الخاصة.
وقد تم قصر إطلاق هذا المصطلح (فصيحٌ جزل) على لهجة عرب مكة الذين عاشوا في القرن السابع الميلادي (عصر ظهور المحمدية وتأليف القرآن).

وهذا الحصر إنما أراه من باب العنصرية وادعاء التفوق العرقي واللغوي... فلماذا تكون الفصاحة بلهجة قريش حصرًا؟ هذا تحيزٌ لقريش واعترافٌ ضمنيٌ بتفوقها العرقي على باقي البشر، وأن التاريخ توقف عند تلك اللهجة حصرًا! في حين أن من طبيعة اللغات الاستمرار في التطور والتبدُّل والتغيُّر.

المعنى الحقيقي للفصاحة والجزالة

أما المنطق فيقول بأن أي خطابٍ واضحٍ هو فصيحٌ، سواء أكان بالعربية أم بأي لغة. فمن الخطأ الشائع قصر الفصاحة على اللغة العربية القرشية، بل كل الخطابات الواضحة توصف بالفصحى بغض النظر عن اللغة التي كُتبت أو أُلقيت بها!

فالسورية فصحى والمصرية فصحى والإنكليزية فصحى، ولا ميزة للعربية، فهي فصحى كغيرها. وكل لغةٍ تنطوي على خطاباتٍ فصحى واضحةٍ وخطاباتٍ ضبابيةٍ غير واضحة. ومن سخرية القدر أن العرب اعتبرت القرآن أفصح الكتب، بل ميزان الفصاحة!!... في حين لا يصح أبدًا أن يوصف القرآن بالفصيح! وقد أثبتُّ ذلك في سلسلة مقالات نشرتها في مدونتي وسميتها (فيه اختلافًا كثيرًا) وذلك لأنه كتابٌ متناقضٌ مبهمٌ حمّال أوجهٍ يقبل المجازات والتأويل ويحوي على أخطاء قواعديةٍ واضحةٍ لا تقبل الترقيع. فمن أين له الإفصاح والفصاحة؟

بل معظم الكتب العربية التي جاءت بعد القرآن أشد فصاحةً منه، حتى تفسيرات القرآن أشد فصاحةً ووضوحًا لأنها حاولت فك مبهماته وترقيع ثغراته. وكذلك كتب الجاحظ والأصمعي وابن سينا وابن الراوندي والرازي الطبيب ودواوين المعري والمتنبي والأخطل مثلًا أشد فصاحةً من القرآن! ولو سألت العامي في الشارع ما هو أفصح كتب العربية لقال القرآن!!! وذلك لأن الناس لا تعرف ما هو معنى الفصاحة ولا المقصود بها، يظنون أن الفصاحة هي الكلام وفق لهجة قريش بلا أخطاء قواعدية. ولو عدنا لقاموس العربية الفصحى ذاتها وبحثنا عن كلمة (فصح) لوجدنا أنه الوضوح... فالفصيح هو الواضح.

راوند دلعو

دحض أسطورة الإعجاز والتميز المزعوم في اللغة العربية

فلو افترضنا وجود نصٍ واضح المعنى باللغة الإنكليزية، ونصٍ مبهمٍ غير مفهوم لكنه صحيح قواعديًا باللغة العربية فأيهما أولى بالوصف بالفصاحة؟ الإنكليزي الواضح أم العربي السليم قواعديًّا المبهم معنويًا؟
طبعًا الإنكليزي أفصح من العربي في الحالة السابقة.

وبهذا أكون هدمتُ أسطورة الفصاحة والجزالة عند العرب، وبيّنتُ للقارئ عدم وجود أي ارتباطٍ بين مفهوم الفصاحة ونوع اللغة... وأن المعنى الشائع المنتشر للفصاحة في الأوساط العربية إنما انبثق عن اعتقادٍ ضمنيٍ بتفوق جيل القرن السابع الميلادي من العرق العربي في مكة! ولذلك أدعو إلى فك الارتباط بين معنى الفصاحة من جهةٍ ولهجة قريش من جهةٍ أخرى، فالفصاحة لا تقتصر على لغةٍ معينةٍ أو لهجةٍ معينةٍ، لأن العبرة والقيمة للمعنى لا لنوع اللغة التي يتحدث بها المرء.

تخيل معي قيام شخصٍ ما بشرح فكرةٍ غبيةٍ متخلفةٍ مستخدمًا لهجة قريش الثقيلة المدججة بما يسمونه بالألفاظ الجزلة البليغة المجوّدة المسجوعة، فأين الميزة هنا؟ وما فائدة هذا التقرشُن اللساني؟ وما فائدة سذاجات الإدغام والإخفاء والقلقلة والتصريع والكنايات والاستعارات... الخ؟

بينما لو شرح لنا البروفسور أحمد زويل بلهجته المصرية مشروعه الذي حصل من خلاله على جائزة نوبل في فيزياء الكوانتوم، لوجهنا له فائق الاحترام ولكان كلامه أكثر فصاحةً ووضوحًا وأهميةً من الغباء المُفَصحَن عُروبيًا قُريشيًا. وهنا أريد أن أنوه إلى أن البروفسور المصري زويل جزلٌ وفصيحٌ ومعبرٌ بلغته المصرية، وكذلك كل شخصٍ فصيحٍ بلغته الأم عندما يتحدث بمعانٍ واضحة. فلا ميزة لما يسمونه بالفصاحة العربية ولا معنًى لها، فلا وجه للاختصاص هنا.

لقد انبثق وهم الفصاحة عن خرافة تقديس القرآن وأفضلية اللغة العربية... وهذه دعوى عنصريةٌ يجب أن يحاسِب عليها القضاء والقانون. فما الفرق بين تفضيل الألوان وتفضيل اللغات؟ فمن قال بأن لوني وعرقي أفضل من لونك وعرقك، شأنه من حيث التعنصر كشأن من يقول: لغتي أفضل من لغتك. التعنصر اللغوي جريمة يجب أن يعاقب عليها القانون. وأرى تجريم أي نصٍ يدّعي أفضلية العرق أو اللغة العربية على باقي اللغات والأعراق.

من إصدارات
المجلة

حياة
محمّد
شارلي إيبدو- النسخة العربية
www.muhammed.fun

حرب القرود

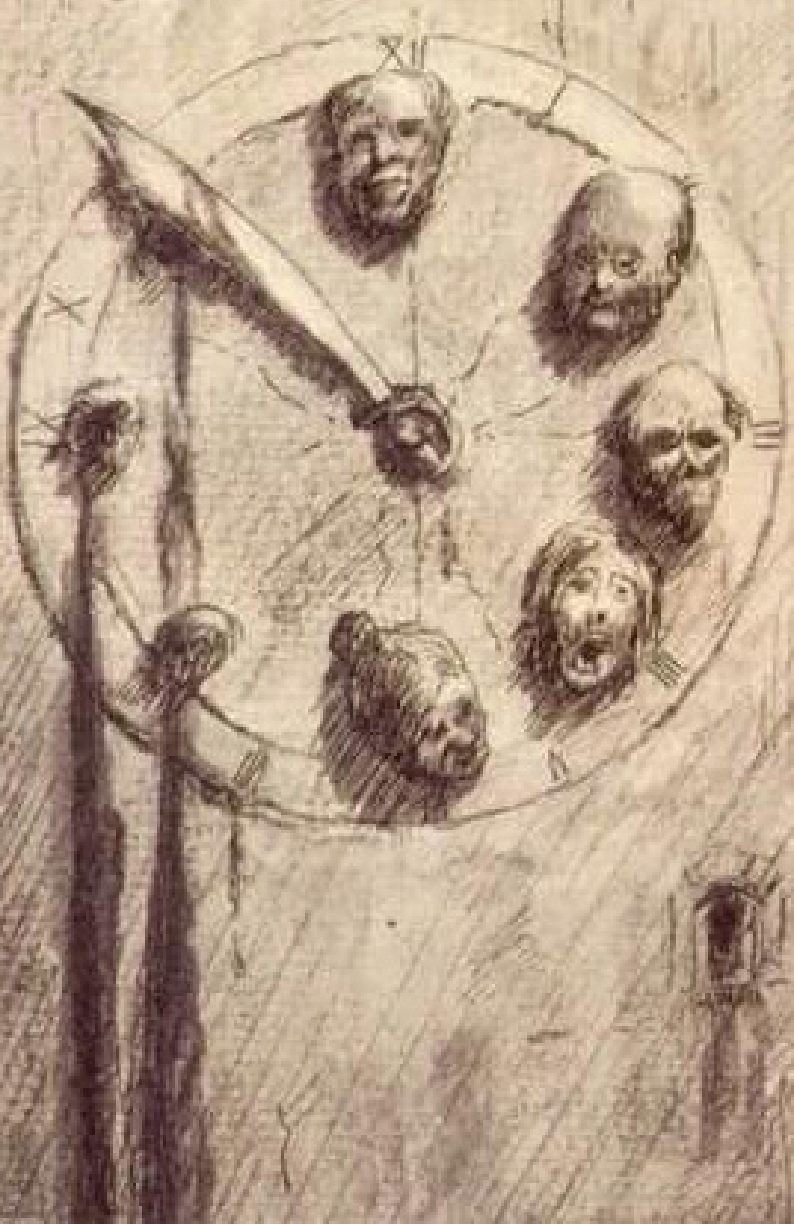

قصة الحرب ولدت بالصدفة مثل كل القصص الإنسانية الحافلة بالإثارة.. فمنذ قرابة المليون سنة، وعندما كان الإنسان مجرد قردٍ نصف فيلسوفٍ يهيم في البراري الممتدة على مد البصر، لم يكن الإنسان يملك ثمة ما يحارب من أجله.. لم يكن يملك بيتًا أو مزرعةً أو أغنامًا أو امرأة..

Hades Nostravinci

حرب القرود

Hades Nostravinci

بل كان يتسكع في البراري متعقبًا السباع لكي يأكل ما تتركه وراءها.. ويصطاد لنفسه امرأة عندما يحل فصل الربيع لكي ينجب منها قردًا آخر ثم يعود للتسكع في الغابة.. لم يكن لديه ما يدافع عنه سوى جثته الخاصة، وقد كان يؤدي تلك المهمة بالاعتماد على رجليه.

ثم قرر قردٌ ما أن يحتفظ بأنثاه عوض تركها تركض بمفردها في أرض الله الواسعة ببطنها المنتفخ أمامها، وأمسكها من شعرها وسحبها إلى كهفه المعتم وانطلق فورًا ليجلب لها ما تأكله.. وعندما رجع ذلك القرد الفيلسوف محملًا بلحوم الخنازير البرية واكتشف أن أنثاه ولدت قردًا.. أدرك فورًا أنه لم يعد في وسعه أن يعول على رجليه للنجاة بنفسه.. كانت قردته وطفله والكهف قد ربطوه إلى جانبهم للأبد، ولم يكن يستطيع أن يدافع عنهم بالجري وحده.. لقد ولدت آنذاك فكرة الدفاع عن الحمى.

تعلم القرد أن يقف أمام فوهة كهفه ويقاتل السباع الضارية دفاعًا عن أبنائه وقردته ومخزون طعامه.. أصبح الهروب فضيحةً أخلاقيةً وأصبحت الشجاعة أن يهب المرء نفسه للموت أمام فوهة الكهف مدافعًا عن حماه إلى آخر قطرة دمٍ في حوزته. من هنا حصلت الحرب لنفسها على أخلاقياتها التي يتغنى بها الشعراء في قصائدهم العصماء. بعد آلافٍ طويلةٍ من السنين كان القرد الفيلسوف قد احتل الأرض بفضل نجاعة نظامه الجديد.. وكان قد تكاثر أكثر من أي حيوانٍ آخر واستقر في جميع الكهوف المتاحة وطرد بقية الحيوانات إلى الغابة وصار يعيش داخل نظامٍ اجتماعي متكاملٍ ولم يعد يملك عدوًا واحدًا يتجرأ على مهاجمته..

سوى أخيه الإنسان..

إذاك ولدت الحرب.. وكان القتال هذه المرة يحدث بطريقةٍ مختلفة.. فلم يعد الخصم مجرد ضبعٍ أخرق سلاحه الوحيد أسنانه الخرقاء، أو مجرد أفعى تنوي أن تكسب معركتها بقليلٍ من السم.. بل كان قردًا فيلسوفًا آخر يملك داخل جمجمته عقلًا بالغ التعقيد والإمكانيات. وتحولت الحرب إلى مبارزةٍ ضاريةٍ وحامية الوطيس بين العقول وحدها..

عبر تلك الطريق المحزنة وصل قردنا المعاصر إلى لعبته الذرية.
لم يكن الإنسان بحاجةٍ إلى كلاشينكوف وقنبلةٍ ذريةٍ عندما كان يصارع النمور والضباع والخنازير الوحشية بسهامه وحربته ويقف في مواجهتها عاري الصدر.. لقد احتاج الى تلك الأسلحة المفجعة عندما اكتشف أن خصمه هذه المرة لا تكفي السهام والحراب لقتله.

حرب القرود

Hades Nostravinci

حدث ذلك منذ مائة ألف سنةٍ تقريبًا.. فقد مر قطيعٌ من أنصاف القرود بمنطقةٍ غنيةٍ بالخنازير الوحشية، والأرانب، والأشجار والكهوف.. ووقف قائد القطيع مندهشًا أمام هذه الجنة.. كان بحاجةٍ ملحةٍ للطعام والسكن.. لكن المشكلة بالطبع هي أن جميع الكهوف كانت تخص قرودًا آخرين.. خلال الساعات التالية انشغل قائد القطيع بدفاتر حساباته.. لم يكن يختلف في أي شيءٍ عن أي تاجرٍ معاصرٍ يدرس أحوال السوق والبورصة لكي يعرف فرصه في الكسب.. وقد وجد كل شيءٍ واضحًا أمامه مثل عين الشمس.. فأنت لكي تستولي على الكهوف ستحتاج لأن تقتل القرود التي تسكنها أو على الأقل تدفعهم إلى الفرار.. ولكي تحقق تلك المعجزة فإنك ستحتاج بالطبع إلى أن تقاتلهم لبعض الوقت، مما يعني أنك ستحتاج إلى أفراد قطيعك الأقوياء، ويعني أيضًا أنك ستضحي ببعض مواطنيك مقابل الكهوف والخنازير البرية والأرانب..

الصفقة رابحةٌ من كل الوجوه في دفاتر قائد القطيع. فالإنسان يمكن تعويضه فورًا.. سوف لن تحتاج لأكثر من أن تمارس الجنس مع أمهاتهم وتنتظر تسعة شهورٍ وتعوض خسائرك.. إنه يمكنك أن تحصل على مقاتلين بعدد شعر رأسك لكي تنال بهم مزيدًا من الكهوف والخنازير البرية.. إن المرأة لا يمكنها أن تلد لك كهفًا أو أرنبًا مشويًا.. لكن قائد القطيع بشطارته المعهودة سوف يحصل على كل ذلك بطريق المقايضة.. إن الحرفة جاهزةٌ للممارسة دون عائق. فالإنسان رأس مال الحرب يحصل عليه المرء بالمجان ثم يعلفه ويربيه مثل العجل ويحمله بعد ذلك إلى ساحة المعركة ليقايضه بكهفٍ أو خنزيرٍ بريٍ أو مدينةٍ، ويدفنه في احتفالٍ صاخبٍ ويقيم له نصبًا تذكاريًا ويعلق في رقبته صفة «شهيد» فيما يرسله إلى الجنة.

قائد القطيع فعل ذلك دومًا وفي كل عصرٍ.. أحيانًا يقايض مواطنيه بكيسٍ من الأرز.. أحيانًا بحقل نفطٍ أو بلادٍ كاملةٍ، ويقيم لهم النصب التذكارية إذا التزموا جانب الشجاعة وماتوا طبقًا للأوامر في ساحة المعركة، أو يربط أعينهم بعصابةٍ سوداء ويطلق عليهم النار بتهمة الخيانة العظمى والتهرب من الواجب المقدس إذا تقرر في ذهن العجل أن يهرب من المسلخ. لقد قلت لكم أن قائد القطيع يقايض مواطنيه من أجل الكهوف والطعام في كل عصر.. معذرةً فتلك الحقيقة لم تعد تنسحب على عصرنا المتحضر الحالي.. نحن لم نعد نقتل من أجل الطعام، بل من أجل الأفكار فقط.. نِتَنْياهو يقايض مواطنيه بخرافات التوراة.. الرئيس بوش يقايض مواطنيه بحفنةٍ من الديمقراطية.. صدام خسر كل مدخراته في المضاربة على أفكار حزب البعث.. كهنة الإسلام يقايضون مواطنيهم بوهم الخلافة.. فليس بالأكل وحده يباع الإنسان، بل بالفلسفة السوداء أيضًا وبعض فصول التوراة وبقية الكتب المقدسة التي تخنق مسيرتنا نحو النور..

إن حرفة القتل لا يجب أن تنقرض بالطبع لمجرد أننا لم نعد نحتاج إلى الكهوف.

رسومات دينية ساخرة

غير مناسبة لذوي المشاعر الدينية المرهفة

www.facebook.com/M-80-II-941772382615672

كاريكاتور

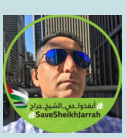

Muayad Qasem

اوقات الشيطان الملعون يخلي الواحد يدخل علي الحمام في رجله اليسار.

Hasan Abuzaid

الشيطان: انا جعلت احدهم يعتدي على جاره، لأني جعلته يشك في زوجته.

الله: أنا جعلت أحدهم (الخضر) يقتل غلامًا صغيرًا، لأني جعلته يشك انه سيرهق والديه عندما يكبر

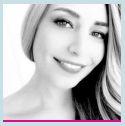

Olga Loutfi

الله 1

الشيطان 0

Free world

الله مصدر الشر لأنه هو الذي خلق مفهوم الشر وخلق الشيطان بموضوع الشر الله بيحط الشيطان بجيبتو

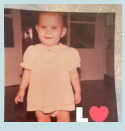

Semiramis Al Amery

ان الاوان ان تعلن انتصرنا وتعتزل من حياتنا وكل رسلك وحتى شيطانك لابد وتركنا نحيا ونعيش بسلام . فما فعلته طلة قرون وسنوات قتل الانسان فينا وشوهنا لالاف الاجيال اتركنا وارحل

مجلة الملحدين العرب

مجلة شهرية بجهود فردية تصدر في الثاني عشر من كل شهر

Arab Atheists Magazine is a digital publication produced entirely by volunteers committed to freedom of thought, inf ormative and enlightening articles regardless of ethnicity gender or persuasion with autonomy, complete independenc .e and most importantly free from geopolitical censorship

The Magazine does not adopt or endorse any form of political ideology or affiliation. Contributors will assume full responsibility for the content, illustrations and topics they provide pertaining to .infringement of copyright and issues of intellectual property

The expressed permission to publish in the Magazine is provided by contributors, whether they are members of the Arab Atheists .Magazine Editorial or other atheists and non-religious contributors

The Magazine does not publish unethical material that amongst .other things perpetuate incitement to racism or bigotry

The Editorial Board reserves the right to republish content origi- nally shared on our magazine's Facebook page publishing there .gives implicit consent to republish to the Magazine

موقع المدونة الخاصة بنا للأرشفة على الإنترنت:
www.aamagazine.blogspot.com
البريد الإلكتروني
el7ad.organisation@gmail.com

ARAB ATHEIST BROADCASTING
قناة الملحدين بالعربي